الدر المكنون

في

جدث الملك توت عنخ آمون

ادب وتاريخ

تأليف

﴿ حسن شوقي ﴾

وكيل المدرسة الخديوية

الطبعة الأولى

(قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل)
« قرآن كريم »

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

الملك توت عنخ ـ آمون قابضاً على سوطه وخصرته الذهبية

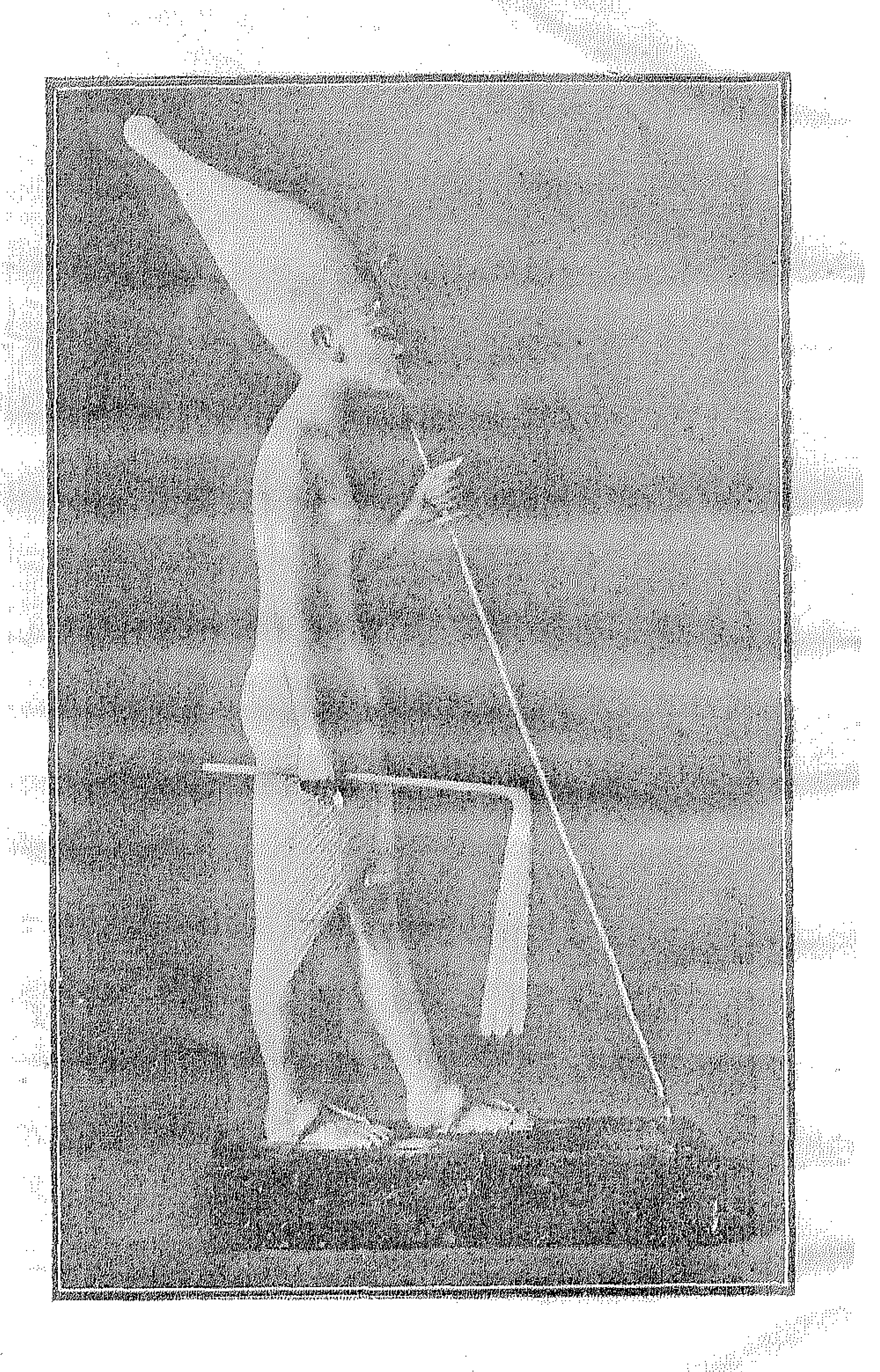
ومتدثراً بعباءته الملكية



أين الألى سجلوا فى الصخر سيرتهم　　وصغروا كل ذى ملك وسلطان

بادوا وبادت على آثارهم دول　　وأدرجوا طي أخبار وأكفان

الملك توت — عنخ — آمون قابضاً على سوطه ومخصرته الذهبية ومحتذيا حذاءه الذهبي



أين فرعون وهامان ومن ملك القوم وولى وعزل
أين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل ولم تغن القلل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ملأ صحائف الأيام بالمواعظ والعبر وجعل فى آثار السالفين ذكرى لمن ادّكر والصلاة والسلام على سيدنا محمد أصدق المحدثين وعلى آله واخدانه أجمعين

(وبعد) فلما كانت أجداث ملوك مصر القدماء هى صحف التاريخ التى يقرأ العالم فيها قاطبة سير هؤلاء الملوك وأخبارهم ومآثرهم وأعمالهم وما كان لهم من المجد الاثيل والعز التليد والهمة القعساء وأبهة الملك ونفوذ السلطان إبان تلك المدنية المصرية السحيقة التى فتنت العالم ببهائها واستهوته بروائها ففاض بعد أن غاض معين حياتها وتفجر بعد أن غار ينبوع عزها فاخضوضر نبتها واعشوشبت أرضها وأزهرت أزاهيرها وأحيا الحيا مواتها أحببت أن أنظم لها الدر المكنون فى جدث الملك توت ـ عنخ ـ آمون ليشفى الصادى غلته من عذب مناهلها ويشبع المنهوم من كنوز خيراتها وليستعين المتهالكون عليها الوامقون لها على فك طلاسمها وحل رموزها واستجلاء شبهاتها وتفسير أحاجيها واستيعاب أخبارها ثم ينعم المبصر الدقيق النظر فى مآثرها وجلائل أعمالها وعظيم مواردها فيستقى سلافها ويتمذذ من رحيقها ثم يرى كيف تقوضت أركانها وثلت عروشها ودكت صروحها وتقلص ظلها وابذعر ساكنها فأصبحت أثراً بعد عين كأن لم تغن بالأمس لشتات جامعتها وتفريق وحدتها واختلاف كلمتها وسريان الدم الاعجمى فى شريانها واغراقها فى اللهو والقصف وغلوها فى البذخ والترف وليدبّر قوله تعالى « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

وليذكر قول الشاعر المجيد

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثان

نسأل الله تعالى أن يسدد بالظفر خطانا ويثبت بالنجح أقدامنا ويهيء لفلاح سبلنا لننهض بهذا الوطن العزيز والبلد الامين إلى أعلى عليين مستظلين بحماية مليكنا الاعظم ورائد نهضتنا الاغر الاكرم الملك فؤاد أيده الله انه سميع الدعاء فعال لما يشاء



المقدّمة

منذ سبع حجج خلت من وقتنا هـذا قد الفينا الصحف الشرقيا والغربية التى لم تأبه من القدم بالآثار المصرية حافلة بالموضوعات الشائقة عن الآثار الممتعة التى ادهشت قراءها وفتنت عشاقهـا حتى ليكاد المرء يعتقد فى صحة الاقاصيص المـذكورة فى كتاب الف ليله وليله اذا تذكر أن علاء الدين قـد نأى عن مثواه بسحر الساحر وجاب البلاد وجاز المفازات واناخ على شفا الصخور الشم وشفير الصياخيـد الصم اذ يقول الراويه فى كتابه المذكور « واخيرا قـد بلغوا خانقا ضيقا قائما بين علمين شاهقين متساويين فى السمك وفى تلك البقعة المقدسة اضرم الساحر النار فى العود ونثر عليـه البخور ولمـا أن ارتفع الدخان تمتم بكلماته الساحرة وان هى برهة قصيرة أو ثنتين حتى زلزلت الارض زلزالهـا وفغرت فاها فـكشفت عن حجر فى باطنها ذرعه قـدم ونصف قدم طريحا على الأرض وله حلقة من الشّبهان فى وسطه ليرفع بها فذعر علاء الدين عند هـذا المشهد الرهيب وذهب قلبه شعاعا فهـدأ الساحر من روعه واسكن جأشه بقوله « أى بنى انظر كيف فعلت بفضل بخورى وسحر نغماتى واعلم بأن تحت هـذا الحجر الذى أمامك كنز دفين قـد قيضه الله لك ليرفعك مكانا عليا وينزلك منزلا مباركا سنيا ويجعلك عمـا قريب اثرى مثرى ملوك العالم » ولما أن رفع الحجر تـكشف له كهف ذو باب صغير وعدة دُرج تهبط الى قاعه ثم قال الشاعر الافريقى « أى بنى التفت وأنصت الى ماأقول « اهبط الى تلك المغـارة حتى اذا بلغت قاع الدرج الذى حيالك فستبصر بابا مفتوحا على مصراعيه موصلا الى كهف ينقسم ثلاثة ابهـاء فسيحة يتلو أحدها الآخر وفى كل من هذه الابهاء سترى يمنة ويسرة اربعة اوعية

كبيرة من الشهبان تحاكي المراجل ملأى بخالص العسجد القرمزى واللجين اليقق »

وفى مستقبل الايام سوف نرى طلاب العلم وتلاميذ الدرس الذين يتعلمون دروسا ذات مساس بالروايات الخلقية والاقاصيص التاريخية لا يدهشون اذا رأوا الرسالات المنبعثة من طيبة فى ربيع ١٣٤٠ ﻫ تمثل دورا جديدا وطورا حديثا من حكاية علاء الدين وسوف يعتقدون صحة النظرية القائلة « التاريخ يعيد نفسه » وليس هنالك فارق بين الرواية الأولى الخيالية والثانية الحقيقية اللهم الا أن يستبدلوا بالعلمين الشاهقين والخانق الذى بينهما وادى الملوك وأن يعتاضوا بالسيد الانجليزى المغفور له (اللورد كارنارفون) عن الساحر الافريقى وأن يتخذوا ذاك الاثرى المشهور (المستر هوارد كارتر) بديلا عن علاء الدين . فلا مراء أن هذين الكاشفين اللذين يدين لهما العالم عامة ومصر خاصة بكشف هذا الكنز الدفين والجدث المكنون الذى ضم بين ثناياه تلك الجثة الملكية الرائعة المموهة بالعسجد الموشاة بالنضار وحوى بين جوانحه من الاعلاق النفيسة واللآلىء الكريمة ما يعجز عن ذكره اللبيب اللسن ويحار فى وصفه الأريب اللبق



فذلكة فى التاريخ القديم

ليس ثمت حادث فى تاريخ الاعصر الخالية والاحقاب البائدة قد ادهش الابصار وحير الالباب وهاج مهج الرجال وافتتن النساء والولدان مثل كشف قبر توت — عنخ — آمون سنة ١٣٤١ خلت من الهجرة. وقلما نعرف الآن شيئا مذكورا عن تاريخ هذا الملك المجيد ولكن لا يمضى زمن طويل حتى تكشف لنا جثته الهامدة طلاسم ملكه وتحل لنا احاجى تاريخه وادوار حياته وكل ما نعرفه الآن عنه هو أنه كان شابا فى عنفوان الصبا وشرخ الشباب قد حكم ردحا قصيرا من الزمان لم ينل فيه طيب الذكرى وجميل الاحدوثة لضعف ارادته ورطيب غصنه واخضرار عوده كما أن اراءه السياسية وعقائده الدينية كانت ضعيفة المبنى عديمة الجدوى لحداثة سنه ووهن عزمه فلم تحنكه التجارب ولم تقرعه النوائب وان ما كشف فى قبره الآن لم يزدنا علما اكثر من معارفنا التاريخية عنه اللهم الا أنه خير شاهد على ما كان لهذا الملك من العز والسلطان والمجد والعنفوان والبذخ والترف والدعة والقصف فى تلك العصور السحيقة والاجيال البائدة ولكن بالرغم من خمول ذكره وغموض عصره نرى أن هذه المكشوفات العظيمة قد اثارت ثائرة كبيرة فى تاريخ الآثار لما لها من الاهمية التاريخية والفائدة الادبية فانها تبسط للعالم اجمع تلك الثروة الطائلة والمدنية المصرية القديمة فى تلك العصور الخالية فان الاعلاق الذهبية النفيسة والطنافس الجميلة والجواهر السنية المتألقة والفرش المنضدة والثياب الفاخرة والبسط المبرقشة والزرابى المبثوثة والنمارق المصفوفة والارائك المنصوبة والصوالج المنسقة والملابس المهيأة والاوانى المنظومة والحلل المنثورة قد بزت سائر الآثار والكنوز التى كشفت منذ العصور التاريخية القديمة حتى وقتنا هذا

وإذا نظرنا إلى الرياش الجميل الذى وجد بهذا القبر لم نر أفخر ولا أغزر منه من عهد نشأته الى الآن . وان من يدقق النظر فيه يتجلى له من بديع تنسيقه وأحكام صنعه ودقة وشيه ان الصناعة المصرية فى ذاك العهد قد بزت أية صناعة أخرى فى العالم ومما يدهش الابصار ويسترعى الافكار وجود تلك الكنوز الهائلة فى قبر ملك كهذا خامل الذكر مخفوض الجناح . واذا عرفنا أن هذا الملك لم يتبوأ العرش أكثر من ستة أو سبعة حؤول فى ذاك العصر المظلم قد ملك فيها تلك الكنوز الهائلة يمكننا ان ندرك مبلغ الثروة التى كانت تتدفق على الفراعنة العظماء الذين حكموا زمنا طويلا مثل تحتمس الثالث الذي أوسع نطاق الدولة المصريه فى آسيا وجبى الاتاوى والضرائب من تلك البلاد النازحة المتحضرة أو امنحتب الثالث الذى بلغت فى عهده أبهة الملك وجلال السلطان اوج غايتهما أو تلك الثروة الطائلة والكنوز الفاخرة التى كانت لسيتى الاول ورمسيس الثانى هذين الملكين العظيمين اللذين استردا الاملاك المصرية الاسيويه التى فقدها اخناتون أو أحفاده .

ومن عهد الف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان وادى الملوك قد ضم بين احنائه تلك الكنوز الذهبية الفاخرة والرياش الرائع الذى لم يوجد مثيله فى تاريخ العالم طراً وهذا مما يبرهن للعالم على قيمة هذه المكشوفات الجليلة التى يرجع الفخر فى كشفها الى همة المرحوم اللورد كارنارفون التى لا تعرف الملال ونخوته التى لا يتطرق اليها الكلال ولا يعروها الاعياء ولكن فضلا عن قيمة هذه المكشوفات الصناعية وفائدتها الماديه نجد أنها ذات فائدة كبرى فى عالم التاريخ فان المهارة المصرية القديمة والصناعة الدقيقة التى فاقت سائر الصناعات والترف الذى يفوق الوصف قد جعلت سائر الطبقات من الناس من طلبة وسوقة يتساءلون عن مبلغ الصناعات ابان تلك المدنية المصرية العتيقة وعما اذا كان هذا الرقى العظيم قد أثر تأثيراً محسوسا فى الممالك الاخرى المعاصرة لمصر المصاقبة لها عند ما يذكر الانسان ان

مصر هى أول من بنى السفن وسير الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام وابتكر فن الملاحة التى كانت تربط بوثاق مكين وسبب متين تلك الأمم بعضها ببعض وهى الشام وكريت وشرق أفريقيه وجزيرة العرب والخليج الفارسى وعدا ما ذكر يجدر بنا أن ندرك هذه النظرية الحقة وهى أن مصر كانت القطب الذى دارت عليه رحى المدنية فى العالم باسره . وفضلا عن أن كشف قبر توت ـ عنخ ـ آمون يظهر لنا شكل القبور الملكية العظيمة فانه يساعدنا على معرفة أشياء كثيرة ومواد غريبة كنا نراها من قبل مرسومة على حياط القبور وجدران المعابد والدور والآن قد تجلت لنا حقيقة تلك الاشياء وهذا مما يبعث فينا روح المثابرة والكد فى درس تلك المكشوفات ويمدنا بمعارف شافية من الحوادث والمناظر المرسومة والنقوش الموضوعة على أوراق البردى وجلود الحيوانات وصفائح الزلج وصلائح الزليج

وان كثيراً من الحقائق التاريخيه والاخبار المدونة فى كتب بلزونى ولبسياس وروزيلينى وولكنسن قد اكتسب صيغة أخرى بعد كشف هذا القبر العجيب . وعند ما يتم هذا الكشف نستطيع أن ندرس شيئاً كثيراً عن تاريخ هذا الملك وصفاته وسماته وسنه وخلقه وحياته واوصابه وبذلك يتسنى لنا أن نعرف شيئاً كثيراً عن تاريخ ذلك العصر الذى وجد فيه . وسندرس بشغف كبير ولهف عظيم عصراً من أجل عصور المدنيه القديمة . فانك تجد فى عصر توت ـ عنخ آمون هؤلاء الفراعنة الذين شيدوا صروح المدنية القديمة كادوا يفقدون سلطانهم وكادت عزمة مصر تفل وعرشها يثل من جراء سياسة أخناتون وأحفاده ولو أن حكم الفراعنة الاشداء السديد فى الأسرة التاسعة عشرة قد أحيا مجد الامة المصرية القديمة فترة من الزمن قبل أن يتهدم عرشها وتتقوض دعامتها . وقبل عهد توت عنخ آمون بخمسين سنة قد تصدع قصر كنسوس فى كريت وبذلك هوى ركن من اركان مدنية البحر الابيض المتوسط وحل محله الاغريق

وقد بلغت بابلوفيا كذلك أقصى غايتها من المجد ولكن سرعان ماضعفت تلك الدول الثلاثة القويه ذلك الضعف الذى انضى الى الكفاح الذى قام بين الاشوريين والحيثيين للاثرة والنفوذ وبذلك قضت تلك الدول على تلك الولايات مثل ميتانى ولما أن وهنت قواها وثل عرشها فسحت مجالا لظهور الفرس فى ميدان المنافسة بين ممالك البحر الابيض المتوسط .وهنالك سبب آخر دعا الى ضعف النفوذ المصرى فى آسيا فى عهد أخناتون وتوت عنخ آمون وهو ظهور طائفة بنى اسرائيل فى عالم التاريخ بهذا المظهر الذى أثر فى العقائد الدينية والعادات القومية فلو لم يضعف نفوذ السلطة المصرية فى ذاك العهد ولم تقع فلسطين تحت نير السوريين والحيتيين والاشوريين ما ظهرت التوراة بهذا المظهر الذى حض الناس على القتال والذود عن الحوض والذب عن الحرم والبسالة .ولو لم يكن ضعف اخناتون قد مهد السبيل إلى القتال فى فلسطين وأحدث ثورة جديده فى تاريخ العالم الدينى لكانت الليالى حبالى تلدن العجائب من مدينة الشرق التى هدم أركانها ودك صروحها هؤلاء الملوك الضعفاء

ولقد ظهر بعد ذلك على مسرح التاريخ تلك الطوائف الآريه فى آسيا الصغرى وحول الفرات ودجلة وأعقب ذلك تمزق الامم القوية فى غرب آسيا الذى افسح المجال لتلك الطوائف الشرقية التى سادت على تلك الامم مثل الفرس والهند وأثر ذلك تأثيراً قويا فى العقائد الدينية والحياة الاجتماعية . وحيال تلك الحوادث الخطيره كانت أهل أوربا مستيقظة لما يحدث فى مصر وبذلك بسطت للعالم تنبؤات عن السياسة الشرقية إذ أنشأت ممالك البحر الشرقى تمثل دوراً جليلا على مسرح التاريخ فظهر للعالم هؤلاء التجار العظماء الملقبون بالفينيقيين الذين نشروا مدينة الشرق بين سائر أنحاء المعموره قرونا عده منذ عهد اخناتون وخلفائه وإن كنا الآن لا نأبه بالفينيقيين وأعمالهم فأننا لا نستطيع ان نبخسهم اعمالهم او نألتهم حقهم فليس ثم ريب فى ان هؤلاء القوم قد ختموا تاريخهم المجيد بأعمالهم الجليلة قرونا عده

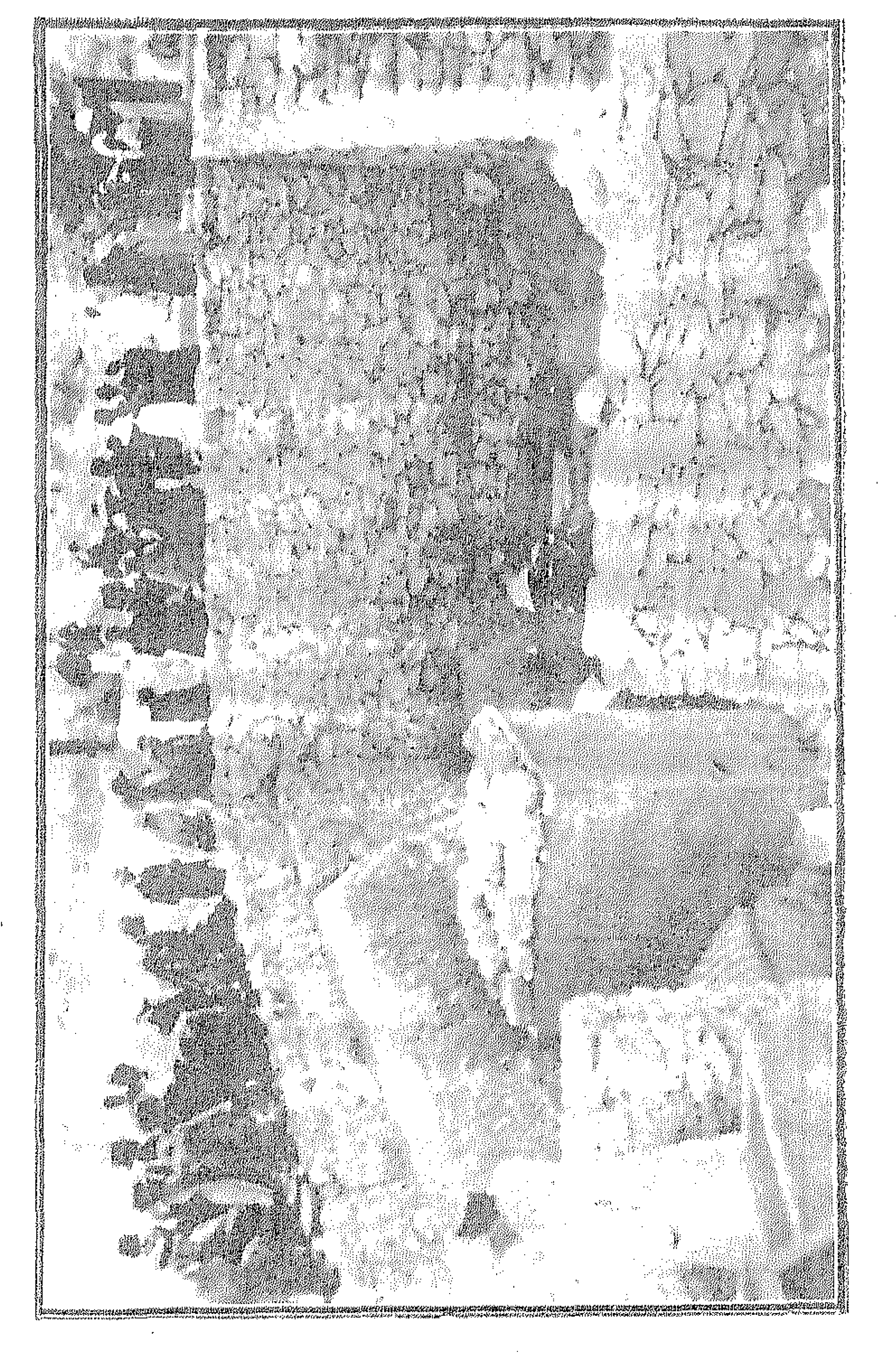
ولا مرية اذن فى أن العصر الذى كشف فيه قبر توت — عنخ — امون هو من أجل عصور التاريخ العظيمة اذ بدأ للناس فاتحة عصر جديد وكل بارقة من العلم تشع نورها على هذا العصر الجليل تكشف لنا الطريق الذى نسلكه للوصول الى المدنية القديمة التى نستمد منها الآن مدنيتنا الحديثة تلك عبرة لمن تبصر وذكرى للذاكرين

وما الحياة بانفاس ترددها ان الحياة حياة العلم والأدب

وصف الجدث

لقد توليت رحلة وزارة المعارف العمومية فى ربيع سنة ١٩٢٦ ميلادية مع رهط كبير من اساتذة المدارس الثانوية الأميرية وطلبتها يبلغون نيفاً ومائة فتيممنا شطر هذا القبر البهيم فى يوم الخميس ٤ مارس سنة ١٩٢٦ ولما أن وصلنا الى الاقصر حططنا رحالنا بنزل حتشبسوت ثم اممناه فى اصبوحة يوم السبت ٦ مارس ولما اصحرنا الفينا جماً غفيرا من الزوار والسفار مبكرين مهرولين وقد انبثوا على البيداء كالجراد المنتشر حتى خيل لنا أن الارض ومن عليها تموج بهم كما تموج السفينة باليم الزاخر وجل هؤلاء السياح من الغرباء آل العالم القديم والجديد على السواء وقد كانوا يسيرون زرافات ووحدانا فبعضهم كان ممتطيا الجياد والحمر وآخرون راكبون المركبات والبهم يحدوهم الشغف ويقودهم الكلف برؤية هذا الأثر الخالد وانه لما يحزننى انه لم يقع بصرى على مصرى غير المكارين والحوذيين أو التراجمة الذين كانوا فى خدمة هؤلاء المسافرين فجزعت جزعا شديداً وأسفت أسفاً عظيما لما رأيت هؤلاء القوم وقد غادروا ديارهم القصية وزايلوا أوطانهم النازحة حبا فى استطلاع أسرار هذا القبر العجيب وكشف مكنونات ذاك الجدث البديع ولم أر مصرياً عالماً أو متعلماً أديباً أو متأدباً غير الطلبة قد دفعه وجدانه ووخزه ضميره وهزته نخوته لرؤية مقابر سكان هذا الوادى

الاقدمين المأتين اليه بطبع والضاربين فيه بعرق . ولما بلغنا هذا القبر انشطر هؤلاء السفار شيعاً وأحزاباً وأنشئوا يلجونه فرادى وأزواجاً نساءً ورجالا شيباً وشباناً وقد نشر السكون عليهم لواءه وشملهم الهدوء بردائه



(شكل ٣) جدث الملك توت عنخ — آمون

فكأنهم من هول هذا القبر قد عراهم الفزع وساورهم الذعر والهلع ما بين خاشعين وحائرين ومفكرين ومفتونين بسحر مكنوناته وعجيب أسراره وبديع آثاره

ولما أن وصلنا ذلك القبر فتح الباب على مصراعيه وإذا بجنة وحرير ونعيم مقيم وملك كبير وتصاوير تشرق وحلى تبرق وقباب مرفوعات وشراعات ومقصورات وعرصات وايوانات وأوان من معدن ومرمر



(شكل ٤ ــ مدخل الجدث)

وحلل كأنها الروض الازهر أو الزهر المنور وغلف كأنها غلاف من كتاب وأبواب موشاة كالاثواب

فأبوابها أثوابها من نقوشها ولا ظلم إلا حين ترخى سدولها

وإذ بالحجرات قد زينت بالوثير من البسط وفرشت بالثمين من السندس والدمقس كأنها قطع من الفردوس

بسط أجاد الرسم صانعها   وزها عليها النقش والشكل
فيكاد يقطف من أزاهرها   ويكاد يسقط فوقها النحل

وقد ازدانت الحجرات بالارائك المنصوبة والزرابى المبثوثة والنمارق المصفوفة والكلل المنثورة والطوارق المتدليـة والحجل المحلاة والشوار المبرقشة والرياط المطرزة والانماط الموشاة ومطارح الديباج ومناضد المـاج عليها برد من جلد السنور ومسح من أدم السنجاب وحياط قد اكتست بالابرسيم الاصفر والاستبرق الاخضر والحرير الابيض جمعت سائر الالوان من أحمر قان وأبيض يقق وأصفر فاقع وأخضر ناضر فكانها قوس قزع أو الشمس وقت الشفق

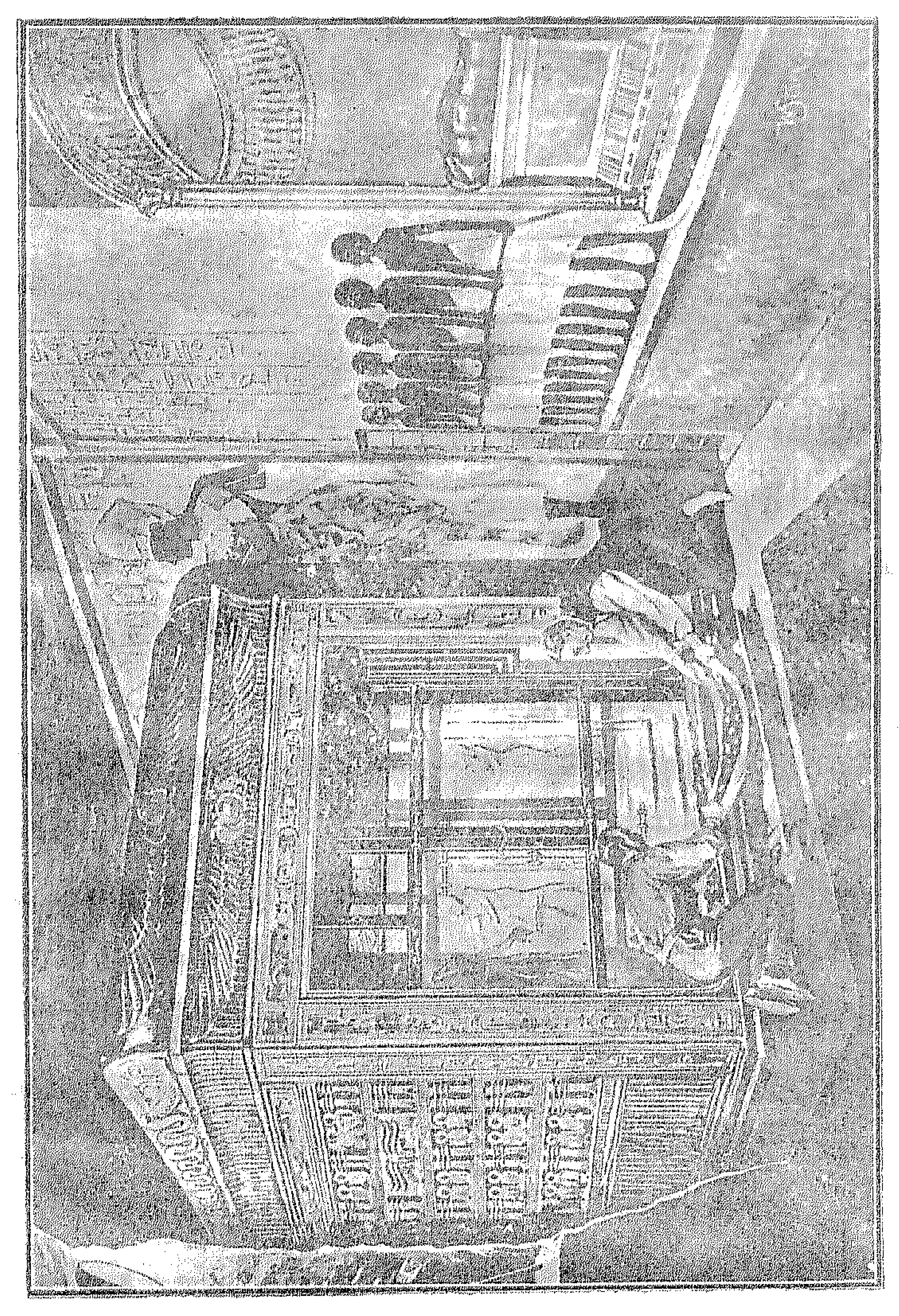
وثم مناضد اتكات عليها النصب والدمى والتماثيل بتنسيق بديع ونظام محكم جميل

حتى اتكأن على فرش يزينها   من جيد الرقم أزواج تهاويل
فيها الطيور وفيها الاسد مخدرة   من كل فن ترى فيها التماثيل

وقد نضدت فى أركان الحوطان صفوف من المشاجب والرفارف تحمل الآنيـة القديمة العادية والعساس الصينية والصحاف الشرقية والسكرجات الشفيفة الزجاجية والطهرجارات المعدنية والاجفان الذهبية . وفى ثنايا ذلك مرآة تتعدد فيها الوجوه والافراد فاذا غادرتها الفيتها كربع خلاء أو كصفحة بيضاء يطل عليها تماثيل وتصاوير وأنصاب حواليها الكؤوس والقواوير وفى الأبهاء مباخر ومواقد الاصطلاء وقد تألقت الحياط بلفائف الديباج وتلألأت الرفوف بأوان من الخزف الشفيف وازدانت الاستار بخالص النضـار وتدلت فيها الثريات كانهـا أكمام الازهار او أزاهير الورد وشقائق النعمان

يزوقون قبورهم كقصورهم   والارض تضحك والرفات السافى

وأجل ما استرعى الفؤاد واستلب الجنان ذلك التابوت الذهبي البديع
الموشى بخالص الابرز الذي يضم بين حناياه تلك الجثة الهادئة المطمئنة



(شكل ٥ — ناووس الملك توت - عنخ آمون)

تحرسها الآلهة المصرية وقد استهوت سكان البسيطة طرباً وجذبت أهل
المعمورة طوعا وقسرا لما لها من الروعة والجمال وما كانت تملك من

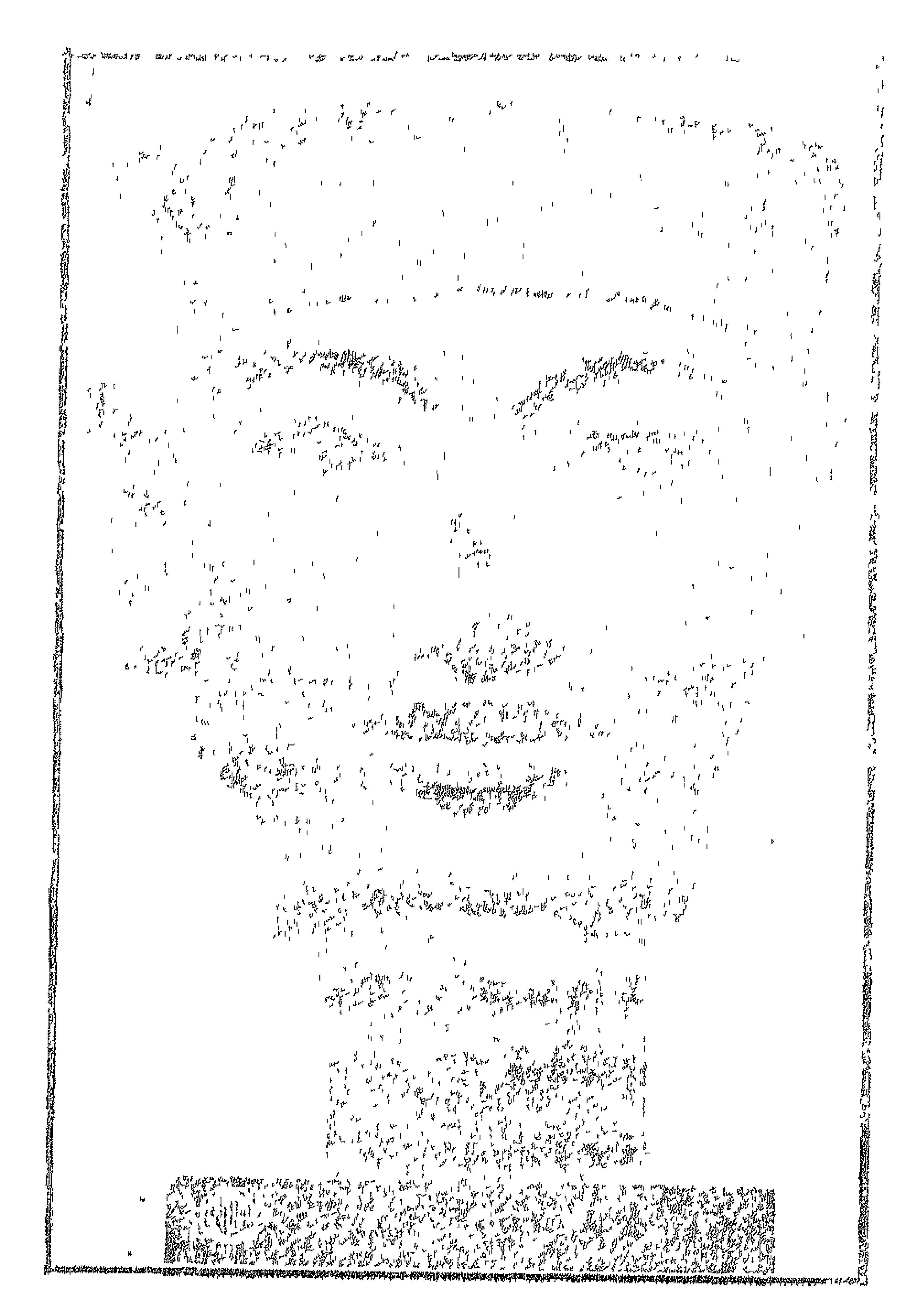
الرياش والمال فى تلك الازمنة البائدة والاحيال ولله درالقائل فى هذا المقال

جاءت اليهـا وفود الارض قاطبة تسعى اشتياقاً الى ما خـلد الفانى
فصغرت كل موجود ضخامتهـا وغض بنيانهـا من كل بنيان
وعاد منكر فضـل القوم معترفا يثنى على القـوم فى سر واعـلان
تلك الهياكل فى الامصار شاهدة بأنهـم أهل سـبق اهـل امعان
وان فرعون فى حول ومقدرة وقوم فرعون فى الاقدام كفؤان
اذا أقام عليهـم شاهـدا حجر فى هيكـل قامت الاخرى ببرهان
كأنهـا هى والاقوام خاشعة أمامهـا صحف من عالم ثان
تستقبل العين فى أثنائهـا صور فصيحة الرمز دارت حول جـدران
لو انهـا أعطيت صوتا لـكان له صدى يروع صم الانس والجـان

توت - عنخ - آمون

فى خلال التنقيب فى وادى الملوك الذى قام به المستر تيودور ـم ـ دافيز من عام ١٩٠٦ الى عام ١٩٠٧م قد كشفت عـدة مخلفات أثرية عليها اسم توت — عنخ — آمون. ويغلب أن تـكون تلك المخلفات قد سرقت من قبر الملك المـذكور إبَّان حكم حرمحب الذى ولى الملك بعـد موت الملك توت — عنخ — امون ببضع سنين . وقد وجد فى هذا الوادى المستر ادوارد أيرتون الذى كان قائما باعمال المستر دافيز عام ١٩٠٦ كأساً زجاجيـة زرقاء اللون جميلة عليها خرطوش الملك توت — عنخ — آمون تحت صخرة فى سفح تل باذخ هنالك . وفى السنة التالية عند ما كان المستر — ا — هارولد جون قائما باعمال الحفر عثر على حجرة منحوتة فى الصخر .

ولما كانت هذه الحجرة محتوية على عدة مخلفات عليها اسم توت ـ عنخ آمون ظن المستر دافيز انه كشف قبر الملك المذكور فأخذ يدون



(شكل ٦) الملك توت — عنخ — آمون

تلك الاشياء فى كتاب طبعه عام ١٩١٢ م ذكر فيه أعماله فى عام ١٩٠٦ و ١٩٠٧ و ١٩٠٨ م وفى السنة الاخيرة كشف قبر حرمحب فى الجانب الجنوبى من الحجرة المذكورة وسمى هذا الكتاب « كشوف المستر دافيز فى قبور حرمحب وتوت — عنخ — آمون وابواب الملوك » وافد دون السير مستون مسبيرو أيضا كل الحقائق عن حياة الملكين حرمحب وتوت عنخ — آمون غير أنه لم يعترف بأن الحجرة التى كشفها المستر هارولد جون

هى قبر توت ـ عنخ ـ آمون . لانه فى ذيل تقريره قال « انى أزعم أن قبره فى الوادى الغربى عن كثب من قبر امنحتب الثالث وهو آخر ملك دفن فى طيبة قبل الملك توت ـ عنخ ـ آمون لأن اخناتون وسمنخارا قـد دفنا بالعمارنه ثم نقلا الى طيبة كما أن ايا (آى) خلف توت ـ عنخ ـ آمون قد نقلت جثته واثاثه الى كنز مستور (لما أن انتهى الانقلاب ضد اتونو وأشياعه) كما نقلت جثة (تى) و (خونياتونو) . وربما حدث ذلك فى عهد حرمحب ، وهنا وجـد المستر دافيز ما بقى من تلك المخلفات بعد نبش القبور ونهب الأجداث ولـكن هـذا زعم يحتمل الصدق والـكذب» ولو ان السير جاستون كان محقا فى دعواه بأن الحجرة المكشوفة عام ١٩٠٧م ليست بقبر الملك توت ـ عنخ ـ آمون فأن زعمه بأن قبر الملك المذكور بجوار سلفه امنحتب الثالث وخلفـه (آى) لم يحقق بكشف اللورد كارنارفون الحديث . أما الحجرة المذكورة فانها لم تكن سوى خزانة صغيرة احتفرها العمال فى أثناء انشائهم قبر حرمحب ليخبئوا فيها ماغنموا من المتاع الذى سرقوه من قبور توت ـ عنخ ـ آمون وآى . هذا ولم يستبن لنا السبب فى عدم أخـذهم سائر الاعلاق والنفائس التى بهما . وكانت هـذه الحجرة دفينة فى الثرى الى عمق ٢٥ قدما وملآى بالغرين الذى ساقته الأمطار احقابا طوالا . وفى تلك الحجرة قـد عثر المنقبون على صيان مكسور به اعلاق ذهبية مختومة بخاتم الملك توت ـ عنخ ـ آمون وزوجته انخ ـ سينامن وبعضها عليه اسم خلفه أو صهره (آى) وزوجه (تى) ولـكن لم يكن بها لقب اوسمة خاصة كما عثروا فى الغرين على تمثال صغير من المرمر الاملس الصقيل وفوق قيمة هـذا الاثر الجليل الصناعية تجده غاية فى الجمـال وآية فى الابداع اذ تجد الشملة التى على الآساد ملفوفة على الطراز الشمسى ولـكن لسوء الحظ لم تكن به نقش أو خط قط ويزعم المستر داريسى أن هذا لتمثال يمثل (آى) عند تبوئه العرش . واذا تبصر الانسان فى هذا القبر المكشوف حديثا وجـد صفائح ذهبية ممزقة

من العرش وخرائق من الفرش المنضدة تحاكى الصفائح الذهبية المكشوفة عام ١٩٠٨م التى تمثل الملك توت ـ عنخ ـ آمون فى نصراته على الاعادى واستباءته الأسارى كما توجد قطع أخرى بها مناظر تحاكى التى نهبت من قبر خلفه . وبعد مضى عدة أيام على كشف الحجرة المذكورة آنفا المحتوية على تلك المخلفات عثر الباحثون عن بعد منها على ركية بها أوان من الخزف الذى يحتوى على حاجيات القبور من اكاليل الرياحين والازاهير وحقائب من المسحوق ولقد كسروا غطاء احدى تلك الخابيات فوجدوا بها قطعة من التيل عليها كتابة بالمداد يرجع تاريخها الى السنة السادسة من حكم الملك توت ـ عنخ ـ آمون وفى الكتاب الذى ذكرناه امكن السير جاستون مسبيرو أن يجمع شذرات من المعارف عام ١٩١٢م عن حياة الملك المذكور وحكمه . وفى دار التحف الانجليزية ترى تمثالى أسدين أوعز بعملهما الملك امنحتب الثالث لاقامة معبد له بالسودان وزعموا بأن احدهما اقيم تذكارا لابنه الملك توت عنخ آمون . الذى ادعى فيما بعد أنه أصلح آثار أبيه أمنحتب . ولقد مضى نحو قرن والطلبة فى ريب مما اذا كان لقب الاب يطلق على الابوة حقيقة أوكان توت عنخ أمون شقيقاً أوأخاً لاخناتون الزنديق صهره ووالد زوجته أوأن لقب الأبوة كان للاجلال . ولم تزل هذه المسألة غامضة حتى الآن لان تبوء توت عنخ للعرش كان مبنياً على زواجه بابنة أخناتون تلك العادة المصرية القديمة التى تذرع بها الملوك لتبوء العرش . وفى عهد زواج توت عنخ واعتلائه عرش المملكة كان دائناً بديانة آتون التى ابتدعها والد زوجته المذكور وكان اسمه توت — عنخ — آتون . ولكن لما مات أخناتون هجر توت عنخ آتون وزوجته انخ سنباتون. ديانة الزندقة واعتنقا ديانة آمون . ونظراً لعادتهم المألوفة فى الكلام سميا نفسيهما توت — عنخ — آمون وانخ سينامن . ثم هجرا قصبة البلاد وقتئذ وذهبا الى طيبة كعبة ديانة آمون التى رحبت بهما أيما ترحيب . وان معارفنا التاريخية عن حكم هذا الملك مستمدة من الرسوم المنقوشة على مقابر طيبة التى أصلحها بعد اعتناقه

ديانة آمون ولو أن معظم هـذه النقوش مزيفة لأن حرمحب محا اسم توت — عنخ — آمون من كثير منها . كما أن مواردنا التاريخية عن هذا الملك مستمدة كذلك من ينبوعين عظيمين وهما (١) قطعة التيل المكشوفة عام ١٩٠٧ م وهى التى تثبت أنه حكم ست سنوات و(٢) عدة صور بديعة وجدت فى قبور (هاى) بالقرنه تؤيد اناضلة توت ـ عنخ ـ آمون باتيوبيا وآسيا وهذه الصور هى من أبدع الصور التى تمثـل الحياة المصرية بأجلى معانيها وهى التى استخدمها شامبليون ولبسياس وبروتس ويهل فى حـل الرموز والطلاسم . وأن النقوش التى بها قد ترجمها الاستاذ برستدمن اللغة الهيروغليفية الى اللغة الانجليزية

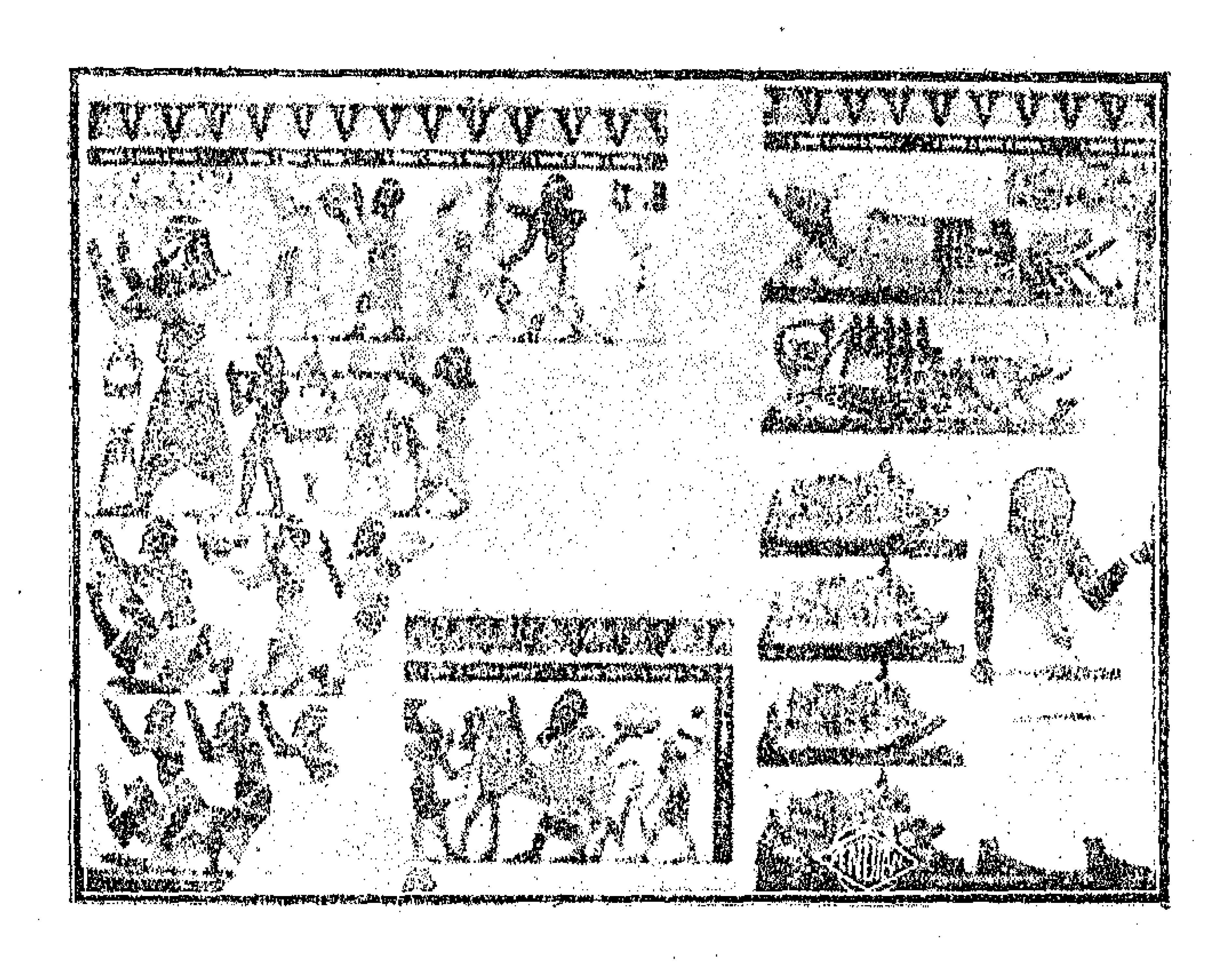
واليك نبذة مما كتبه الاستاذ برستد فى تاريخ توت ـ عنخ ـ آمون

« لقـد مات الامير (ساكير) صاقير وأعقبه توت ـ عنخ ـ آمون (وهو المثال الباقى) لاتون وزوج ابنـة أخناتون الاخرى . ولقد أغراه كهنة آمون أن يهجر مدينة أخناتون ويقيم فى طيبة التى لم تر فرعوناً منذ عشرين سنة خلت من ذاك الوقت . فاستهدفت معابد أتون لانتقام زعماء طيبة وأضحت مدينة أتون الجميلة قاعا صفصفاً خاوية على عروشها ينعق فيها البوم وتحلق عليها الغربان . وقد كشف فى تلك المدينة حجرة مشيدة من اللبن كانت مستعملة داراً للسجلات التى أودعها الملك أخناتون مكاتباته الرسمية وقد وجد بين ظهرانى تلك الرسائل ثلاثمائة كتاب ورسالة تدعى الآن «برسائل تل العمارنه» وتلك الرسائل تؤيد المكاتبات التى دارت بين هذا الملك وحكام المقاطعات الاسيوية وملوكها والتى تنم على انحلال الدولة المصرية التدريجى وقد وجـد بينها ما يربو على الستين رسالة (لريبادى حاكم بيلوس) . وقد عفت كذلك سائر المدن الاتونية وأصبحت أثراً بعد عين . ولـكن « جم أتون » كانت بعيدة عن هذا الشغب الذى حل بالبلاد لنزوحها ووجودها فى بلاد النوبة حيث ظل بها هذا الاثر الخالد وهو « معبد أتون » « رب جم أتون»



(شكل ٧) جمجمة توت — عنخ — أمون التى تحاكى جمجمة اخناتون

ولما بلغ توت — عنخ — آمون طيبة واقتعدها قصبة له ظل عاكفاً على ديانة آتون ولكن غلبت عليه ديانة آمون حتى دعته الى تغيير لقبه بتوت ـ عنخ ـ آمون ـ وهذا مما يدل على أنه صار الآن تحت أمرة الكهنة ولكن الدولة التى حكمها لم تتقوض دفعة واحدة غير أنها امتدت من دال نهر النيل الى بلاد النوبة ثم الى الشلال الرابع . ولم تزل مستمتعة بالاتاوات والضرائب المفروضة على فلسطين



(شكل ٨) القرابين الاسيوية تقدم للملك توت — عنخ — امون

ولقد ولى الملك بعد توت ـ عنخ ـ أمون آى أحد بطانة أخناتون ووليجته الذى كان قد تزوج مربية أخناتون المسماة تى . ولقد كان متشبعاً بآراء أخناتون الضعيفة فى مقاومة كهنة آمون ولكن لم يمض زمن طويل حتى قضى نحبه وتنازع الملك بعده شريكان كانا منافسين له قبل تبوئه العرش . فصارت البلاد فوضى حائرة لا تلوى على شىء وصارت الفتنة فيها كالحسكة شاكة من كل طرف وأضحت طيبة ضحية جيش لجب من الغاصبين والعابثين الذين دخلوا المقابر الملكية عنوة واستنزفوا مابها من الحلى والمتاع والرياش وأهم القبور التى نبشت قبر تحتمس الرابع . وسرعان ما تقوضت دعائم تلك الدولة الطيبية العظيمة التى ظلت مائتين وخمسين سنة فهوى مجد هذه الاسرة العظيمة التى اكتسحت الرعاة من مصر منذ مائتين وثلاثين سنة خلت من ذلك العهد وشيدت على أنقاضهم أكبر أمة فى الشرق فأفل نجم مصر وخسف قمرها وكسفت شمسها التى أضاءت العالم بنورها (عام ١٣٥٠ ق م) ولقد قال مانيثون ان حرمحب هو الذى أحيا مجد الامة

المصرية فى نهاية الاسرة الثامنة عشرة . ولكن جل ما نعرفه عنه هو أنه لم يكن من سلالة ملكيه ولم ينسب قط لهذه الاسرة المتدهورة وهو الذى أحيا ذكرى آمون وأعاد الدستور القديم وافتتح العصر الجديد فى — ذاك العهد —

وقال مدير المتحف البريطانى بلندره :

«فى أيام أخناتون الاخيره من حياته قد أناب عنه زوج ابنته المسمى سمنخارا الذى ولى الملك بعدوفاته . وقلما نعرف شيئاً مذكوراً عن تاريخ هذا الملك الاخير لقصر حكمه . ثم خلفه الامير توت ـ عنخ ـ أمون الذى تزوج الملكة انخ سنباتن ابنة أخناتون الاخرى وارتقى العرش لتدينه بالديانة التى ابتدعها والد زوجته ولكنه لم يلبث طويلا وهو دائن بتلك الديانة حتى هجرها . ولم يستطع عبادة آتون لغطرسة كهنة طيبة فهجر هو وزوجته هذه الديانة واعتنقا ديانة آمون القديمة وغيرا اسميهما بعد ذلك فاصبح الملك يسمى توت — عنخ — آمون بدل توت — عنخ — آتون وأصبحت زوجته تسمى أنخ سينامن . بدل أنخ سينباتن . كما هي العادة المصرية المتبعة فى ذاك العهد وكان غرض توت — عنخ — آمون وما يرمي اليه من تخليد ذكره أن يمحو كل ماعمله أخناتون وينسخ تلك الديانة التى ابتدعها بيد أنه لم يقره على هذا الرأى عظماء المؤرخين الحديثين كما يتبين لنا من كتاباتهم فى هذا الموضوع »

قال الاستاذ أرثر ويجول « كان أخناتون من بعض الوجوه أول رسول فى الفطره لاننا لو تصفحنا تاريخ البشر منذ خلق العالم لوجدناه أول من عرف الله حق المعرفة كما نعرفه الآن . وفى ذاك العصر الذى بلغت فيه العظمة الحربية أقصى ذراها كان أخناتون عدواً لدوداً لصناديد العالم وهو الذى عبد الله بلا تردد فى الدين أو ريب فى اليقين »

وقال الاستاذ برستد « وبذلك اختفى أعظم شخص فى تاريخ الشرق القديم فهما غمطناه قدره وألتناه حقه نر فيه تلك الروح العالية التى لم

يرها العالم من قبل فى غيره فقد اخترق صفوف من عاداه فى ذاك العهد القصى وأثبت للعالم أنه رجل الدنيا وواحدها الذى لا يعول على أحد ومصلح العالم الذى لا يساجله فرد صمد »

وقال الاستاذ هول « لقد عجز الشعر عن وصف هذا الفيلسوف الكبير والمصلح العظيم أول مخلوق برز فى عالم التاريخ القديم . . . حقاً إن أخناتون كان أول حكيم فى التاريخ وأول معجب فخور »



(شكل ٩) جمجمة أخناتون

وإن رفاهية مصر لم تدم طويلا بعد موت ذلك الملك توت ـ عنخ آمون فبعد مضى بضع سنين نشأت مصائب جمة ورزئت البلاد بكوارث فادحة وأصبحت الفتنة فيها كالحسكة شاكة من كل طرف . ولم تجد أرملة الفقيد بدا من أن تلجأ الى ملك الحيثيين ملتمسة منه أن يرسل اليها أحد

أبنائه لتتزوج به حرصا على كيان المملكة المصرية . وانه لما يسر ذلك الملك أن يرى فى مستقبل الأيام احد ابنائه متبوئا عرش المملكة المصرية ولكن سجلات « بوغاز كيوى » قد ختمت لنا هذه الرواية السياسية المحزنة فما كاد ذلك الامير الحيثى يطأ بقدمه وادى النيل حتى دهمه الامراء المصريون وقتلوه شر قتله وبعد أن انتهى دور هذه المأساة ارتقى عرش مصر ذلك الأب الالهى (آى) الذى كانت زوجته مربية الملكة نيفرتيتى زوجة امنوفيس الرابع وبذلك خبت الفوضى التى اثارها ملك تل العمارنه

وأن توت ـ عنخ ـ آمون وآى كانا يمتان الى اسرة ذلك الفرعون المبتدع واذا كانا قد أعادا الى مدينة طيبة مجدها الأثيل وعزها التليد الذى كان امنوفيس الرابع ولوعا بتقويضه فانهما لم يمسا الاله اتون أو عباده بأذى بليغ وبعد ذلك ظهر على مسرح السياسة حرمحب ذلك القائد الذى دلت الصكوك المتوارثة أنه كان معاصرا للفوضى الدينيـة التى اندلعت السنتها بتل العمارنه ولم يلبث طويلا فى الحكم حتى دهمته المنون وبعدئذ أرخيت السدول على تلك الرواية المصرية المحزنة وبدأ عصر جديد حيث قبض على صولجان مصر طائفة أخرى من الملوك وهم الرماسيس (جمع رمسيس)

ولقد هدم حرمحب كل الصروح المقامة لعبادة آتون فى طيبة . وان الاحجار الكلسية الضخمة التى ازدانت بالنقوش الهيروغليفية قد استخدمت فى أقامة الرتاجين العظيمين لمعبد الكرنك اذ نجد وسط هذه الابنية نقوشا محفورة عليهـا اسماء امنوفيس الرابع وخلفائه الادنين . وان التنقيب الحديث قد كشف النقاب عن آثار خالده على الرغم من الدمار الذى لحقها من الجنود التركية فى ذلك الجزء من الكرنك عند غزوهم البلاد

ولقد قال البحاثه بس دافين فى رسائله عام ١٨٤٠ م « انى كنت الشاهد السيء الحظ الذى ابصر بعينى رأسه الدمار الذى احدثه الاتراك بالمفرقعات »

ولقد محى اسم توت ـ عنخ ـ آمون من معظم الآثار بحـذق ومهارة واستعاض عنه حرمحب فى جميع الآثار باسمه ولقد ايد ذلك المؤرخ داريسى وهذا مما جعلنا نعتقد أن توت ـ عنخ ـ آمون كان قد تنبأ بذلك اذ بعد أن دان بدين صهره صبت نفسه مرة أخرى فى آخر لحظة من حياته أن يحيي مرة اخرى عبادة « القرص الشمسى »

وقد زعم بعض الناس أن روح توت ـ عنخ ـ آمون قـد تقمصت بعوضة وأخذت بثأره من المرحوم اللورد كارنارفون كاشف هـذا القبر وفاض ختامه فلدغته لدغة كانت القاضية ولـكن هذه خزعبلة من خزعبلات الأولين وترهة من ترهات السالفين وخرافة من خرافات النوكي وبدعة من بدع الحمقى لا يقبلها ذو العقل السليم اذ يقول الله تعالى فى كتابه العزيز « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » « فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » « لـكل أجل كتاب » . ولقد قال شاعر الامراء وامير الشعراء احمد شوقى بك فى ذكرى كارنافون

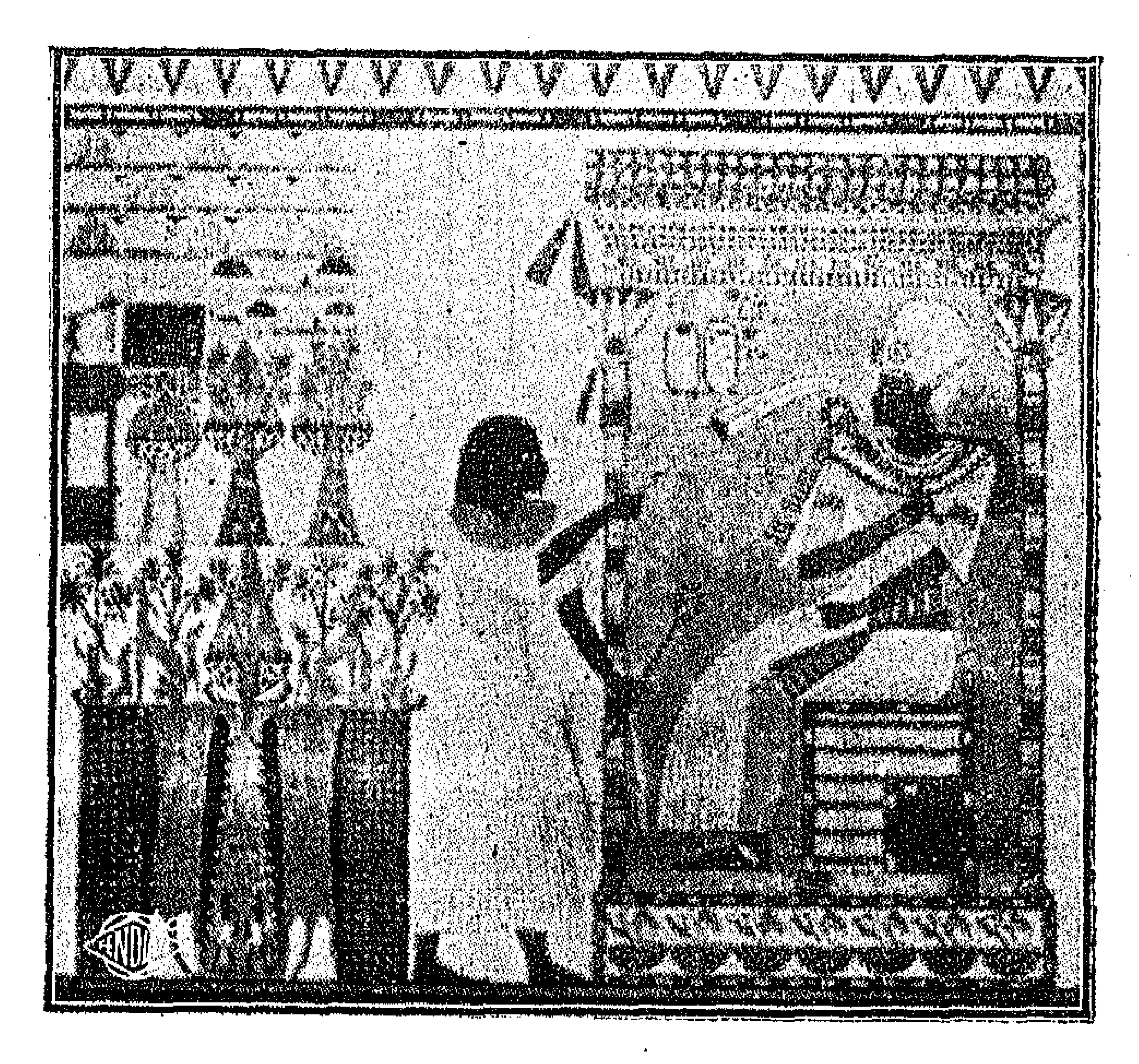
هل كان (توتنخ) تقمص روحه ... قمص البعوض ومستخس إهابه
أوكان يجزيك الردى عن صحبه ... وهو القديم وفاؤه لصحابه
تالله لو أهـدى لك الهرمين من ... ذهب لـكان أقل ما تجزى به
انت البشير به وقيم قصره ... ومقدم النبلاء من حجابه
اعلمت أقوام الزمان مكانه ... وحشدتهم فى ساحه ورحابه
لولا بنانك فى طلاسم تربة ... ما زاد فى شرف على اترابه
اخنى الحمام على ابن همة نفسه ... فى المجـد والباني على احسابه
الجانب الصخر العتيد بحاجر ... دب الزمان وشب فى اسرابه
لو زايل الموتى محاجرهم به ... وتلفتوا لتحيروا كضبابه
لم يأله صبرا ولم ين همة ... حتى انثنى بكنوزه ورغابه
افضى الى ختم الزمان ففضه ... وحبا الى التاريخ فى محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى اتى ... فرعون بين طعامه وشرابه

المندل الفياح عود سريره ... واللؤلؤ اللماح وشى ثيابه
وكأن راح القاطفين فرغن من ... أثماره صبحا ومن أرطابه
جدث حوى ما ضاق غمدان به ... من هالة الملك الجسيم وغابه
بنيان عمران وصرح حضارة ... فى القبر يلتقيان فى أطنابه
فترى الزمان هناك قبل مشيبه ... مثل الزمان اليوم بعد شبابه
وتحس ثم العلم عند عبابه ... تحت الثرى والفن عند عجابه



ملوك وملكات الاسرة الثامنة عشرة فى نظر أئمة التاريخ وأعاظم الثقات

مدير المتحف البريطانى	المستر ارثر ويجول	الاستاذ برستد	الاستاذ فلندرز بترى	الدكتور هـ ـ ر ـ هول
احمس	احموس	احموس	احميس	احميس (امازيس)
امنوفيس — امنحتب	امنوفيس	امنحتب	امنحتب	امنحتب
توثميس — تحتمس	توثموزيس	تحتمس	تحتمس	تحتمس
تى — تى	تى	تى	تى	تى — تيى (الملكه)
خو ـ ان ـ أتن ـ اخو ـ ان ـ اتن امنوفس الرابع ـ امنحتب الرابع نيجنوريريا	آخناتون	إخناتون	إختاتن	إختاتن
نيفرتيت ـ نيفرتيث ـ نيفرتيتى	نيفرتيتى	نوفرتيتى	نيفرتيتى	الملكه نيفرتيتى . نيفراتيتى
انخ — خيبرورا	سمنخارا	ساكير	سمنخارا ـ راسمنخكا	سمنخارا
توت ـ عنخ ـ آمون	توت ـ عنخ ـ آتون	توت ـ عنخ ـ آتون	توت ـ عنخ ـ آتون	توت ـ عنخ ـ آتون
	« ـ « ـ آمون	« ـ « ـ آمون	« ـ « ـ آمون	« ـ « ـ آمون
آى	آى	إى	آى	آى
حرمحب — حراحب	حرمحب	حرمحاب	حرمحب	حرمحب



(شكل ١٠) توت — عنخ — آمون يستقبل الاتاوى الاتيوبية

ثمرة هذا الكشف

عند ما يرقب العالم قبر توت — عنخ — آمون وتنكشف له سرائر هذا الاثر الجليل وما حواه من الآثار الخالدة والمخلفات البديعة التى تبرهن على قدرة قدماء المصريين الصناعية وفراهيتهم الفنية تتجلى له حقيقة هذا الكشف وأثره فى حضارة العالم وعند ذلك يرى مبلغ رقى البشر الذى أفضى إلى تلك المدنية القديمة . وفضلا عما تظهره تلك الكنوز من الثروة الطائلة التى غيبت فى غياهب تلك الغيران التى بوادى الملوك منذ ثلاثين قرنا خلت من وقتنا هذا فانها تدل على مبلغ تقدم الفنون الجميلة التى فتنت العالم بجمالها وادهشته

بروعتها كما أكسبته علماً جماً وفضلا كبيراً . إذ أنهـا بعثت فى طالب العلم وعابر السبيل هياما عظيما وكلفا كبيراً بدراسة تلك المدنية السحيقة التى أبرزت تلك الفنون الجميلة وجعلت كليهما يتساءل عما إذا كان هذا الرقى خيالا أم حقيقة . ولهذا يجـدر بنا الآن أن نحصر همنا فى ثمرة هـذا الـكشف والاثاث الذى وجد به والذى فاق فى اتقانه كل صنـاعة وفى وشيه كل حياكة كما ان المنسوجات التيلية التى وجدت قد بزت كل نسيج والاوعيـة المرمرية قد فاقت سائر الاوعية التى بالعالم . وناهيك بالتماثيـل التى تؤيد النظرية القائلة « بانها أرواح فى قالب أشباح » . فاذا رأينا ذلك تساءلنا عن مبلغ هذه المهارة والفراهية التى بدت فى تلك المصنوعات الجليلة . وعن مبلغ الثروة والاعلاق النفيسة التى وجدت فى هذه الـكهوف الغريبة المنشأة على حفافى ذاك الاخدود الصخرى القحل وكيف توارت عن أعين البشر هذه المخلفات التى ابرزتها تلك الصناعة الدقيقة فى ذاك البقيع العظيم . ان الاجابة على تلك الاسئلة هى التى حدت بالكاشفين إلى كشف هذا الـكنز الدفين الذى هو عماد المدنية القديمة التى جعلت لمصر القدح المعلى فى حلبة الممالك الراقية .

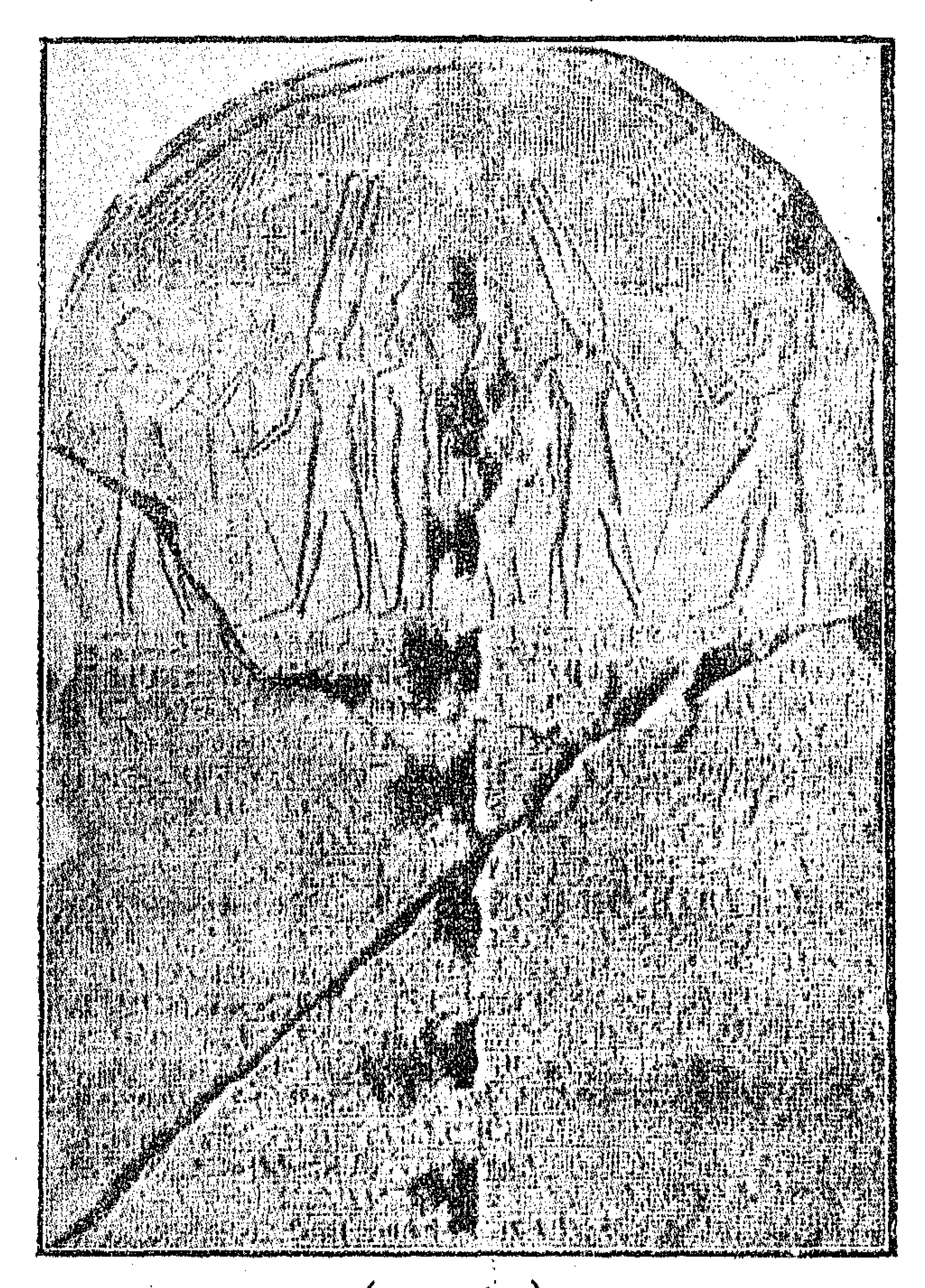
وان الفرص قد جادت لعلماء الآثار المصرية بكمية وافرة من الصكوك التى فى حوزة مصلحة الآثار المصرية تلك المصلحة التى ضربت على أيدي العابثـين والسرقة ونباشى القبور . فان بردى ابوت الذى بدار العاديات البريطانية وبردى امهرست وبردى مرى بلفربول قد امدتنا بمعارف شافية عن هذه القبور ومنها يستدل على ما فعلته أيدى المعتدين الآثمين الذين عثوا فى الارض مفسدين وفضوا ختام هذه القبور فى الازمان الغابرة وسرقوا ما شاءوا من كنوزها الفاخرة واليك نبذة مما جاء فى هذه الصكوك التى ايدت تلك السيئات المروعة

« لقد ولجنا جميعا هذا القبر وفتحنا الاضرحة وفضضنا ختام النواويس وكشفنا الاكفان المحتوية على تلك الجثث فوجدنا من بينها جثة (موميا)

هذا الملك الرائعة ووجدنا عدداً كبيراً من المعوذات والسموط التي كان يتحلى بها جيده وصدره وكان رأسه محلى بكساء ذهبي كما ان جثة الملك كلها كانت موشاة بخالص النضار وبديع العقيان وكانت أكفانه سداها ولحمتها مصنوعة من العسجد الاصفر واللجين اليقق ومرصعة بالاحجار الكريمة فمزقنا سائر هذا العسجد عن هذه الجثة الرائعة وانتزعنا تلك المعوذات والقلائد وكذلك وجدنا جثة الملكة وشوهناها تشويها ثم اضرمنا النار في ذلك القبر البهيم بعد أن سلبنا متاعه ونهبنا ما به من كؤوس ذهبية وأعلاق نفيسة فضية وأخرى نحاسية ثم قسمنا الغنائم ثمانية أقسام متساوية »

الشاهد المستكشف بالكرنك

أن الشاهد الذي وجد بالكرنك يؤيد كيف كان توت — عنخ آمون يحض على عبادة إله طيبة الاعظم إذ يقول « أنه قدقوى دعائم ما تقوض من التماثيل الخالدة كما قاوم تعاليم الملحدين حتى حصحص الحق وأقيم ميزان العدل في الوجهين البحري والقبلي وحكم بالقسط بين الرعية . ولما تبوأ الملك توت عنخ آمون العرش كانت مرافق الحياة عسيرة وكان متاع الآلهة قد فني وانتقلت آثارهم الى الوجه البحري كما تقوضت معابدهم وتصدعت صوامعهم وطويت كالسجل أملاكهم في تلك المحن التي انتابت البلاد والفتن التي اعتورت الآفاق ونبت على دمنهم الحسك والقتاد ونبشت قبورهم ونهبت ربوعهم وانتهكت حرماتهم وصارت بيعاتهم مواطيء للاقدام وصوامعهم طرائق للسارب بالليل والسارح بالنهار فعم الفساد في العالم وغابت الآلهة عن الوجود ولم ترع هذه الارض المقدسة مرة أخرى حتى اذ بعثت الوفود الى ساحل فينيقيه لتوسيع تخوم المملكة المصرية أخفق مسعاها وحبطت آمالها واذا لاذ رجل بآلهه ليستعيذ به ويتضرع اليه في مسعاه لم يلب الآله نداءه ولم يستمع كلماته وكذلك اذا دعيت ربة



(شكل ١١)

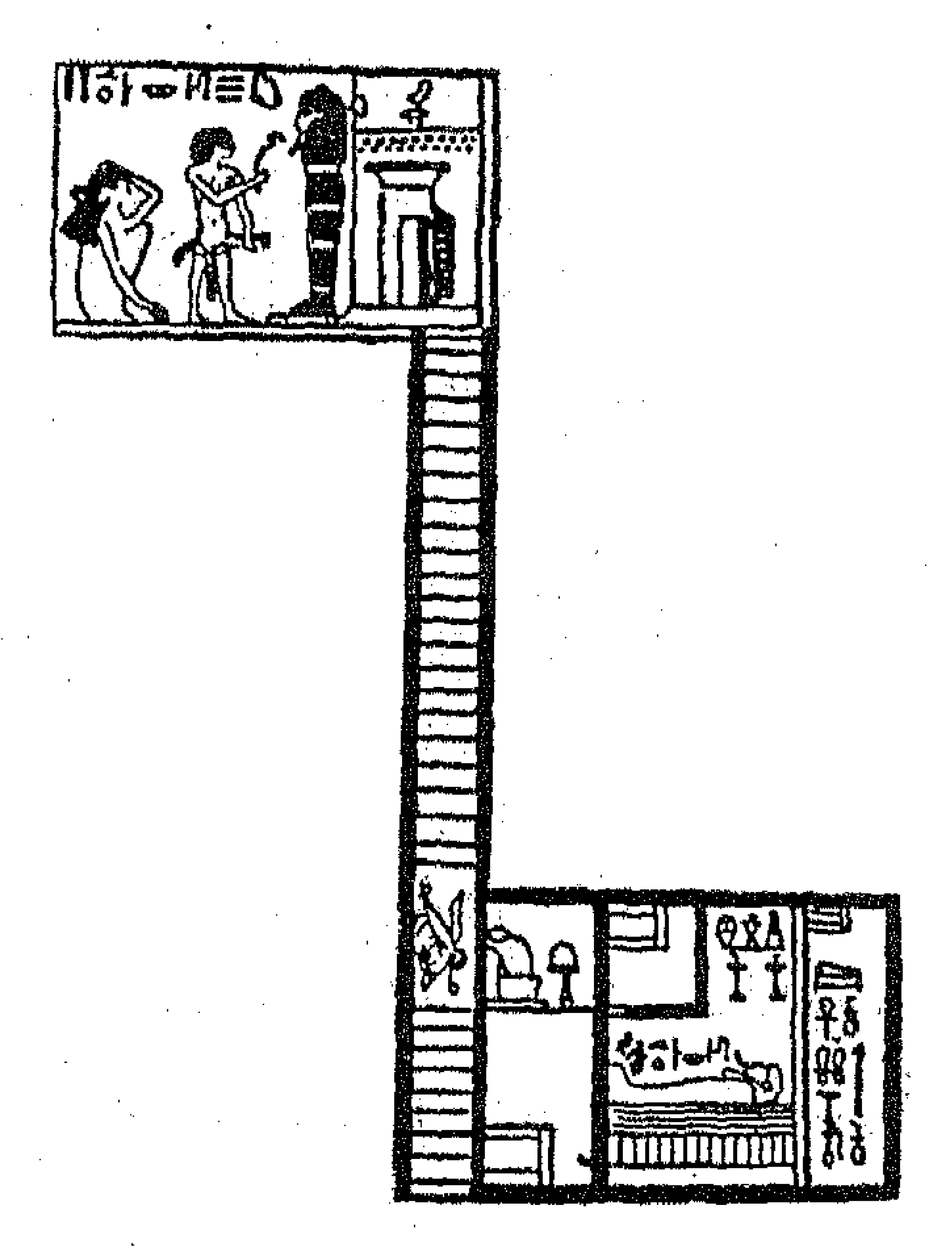
رمز (شاهد) توت — عنخ — آمون المكشوف بالكرنك
والذى يوجد الآن بدار العاديات المصرية

فانها لا تلبي دعوة داعيها ولقد قست قلوب الآلهة من أعمال العباد فكانت كالحجارة أو أشد قسوة لأن الناس قد عاثوا فى الارض فساداً وعبثوا بآلهتهم التى شوهوها ومزقوها شر ممزق » فما لهؤلاء القوم يعبدون مايشوهون والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين « أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » ولله در من قال

أكلت حنيفة ربهـا عام التقحم والمجاعه
لم يتقوا من ربهـم سوء العواقب والتباعه

عند ذلك ظهر توت ـ عنخ ـ آمون على مسرح الحياة وأخذ
ما أفسده اسلافه بحمية لا يعروها الملال وعزيمة ماضيـة لا
الكلال فانشأ تماثيل جديدة للآلهة ورمم المعابد وأصلح الهيا كل و
الـكهنة والنساك وطهر الخدمة الذين استخدموا فى سياسة الهدم من ا

الخلود والأزليه



(شكل ١٢) مثوى الميت

كل تلك المعدات الجليلة ونحت القبور العظيمة فى الصخور الصم و
الشم التى تطلبت عناء كبيراً ونصباً كثيراً وامدادها بالفرش الفاخرة
المبرقشة لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن جسومهم اذ

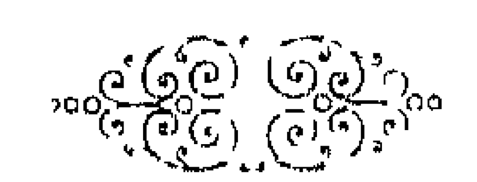
فيها لا تبلى أبداً ما كرّ الجديدان وتعاقب الملوان . وقد تصوروا أن الجثة اذا حنطت لا تفنى البتة ولهذا أمدوا الميت بكل ما لذ وطاب من طعام وشراب وكساء ورياش ومعوذات وأعلاق وطيب أرج شذى وسائر دواعى الترف والنعيم التى اعتاد الملك أن يستمتع بها قبل رحيله من الدار الفانية الى الدار الباقية . ولا مراء أن هذه العقيدة كانت فى العصر الأولى من تاريخ الفراعنة راسخة ثابتة . ولا مشاحة أن العناية التى بذلها قدماء المصريين فى تأسيس عقائدهم الدينيه على أشياء محسوسة وجعل تلك الاشياء المادية تحاكى سائر أباطيلهم وأضاليلهم كانت لاعتقادهم أن تلك المعدات ذات أثر بين فى مزاعمهم وخزعبلاتهم . وهذه العقيدة مشاهدة فى تحنيط الموتى وحفظ الجثث حتى لا تبلى ولا تفنى أبداً اعتقاداً منهم أن هـذا العمل مدعاة الى إطالة حياة الانسان . وبذلك صار أملهم فى الحياة الاخرى مبنيا على مهارة المحنط فى تحنيط الجثة . ومما يدهش الانسان مثابرتهم على هذا العمل ثلاثين قرنا وهم يبحثون عن أجدى الطرق وأسدها فى ترقية صناعتهم هذه . تلك الصناعة التى أثبتت أهمية التحنيط الكبرى لدى قدماء المصريين . فكما أن مهارة النجار كانت منحصرة فى اعداد النعش لحفظ الجثة كانت قدوة النحات قاصرة على نحت القبور فى الصخور لراحة الموتى وكان الغرض من ترقية فن البناء وقتئذ اسعاد الميت وإقامة الربوع لوليجته وآل بيته ليضحوا فيها الأضاحى ويقربوا القرابين ويطعموا الطعام على حب ساكنيها كما أن تشييد الحجرات كان لاقامة تماثيل الميت وصوره بها فنشأ من ذلك صناعة أخرى هى وليدة فن التحنيط وهى إقامة التماثيل والدمى التى كانت توضع فى معبد القربان وكانت تحاكى الميت فى كثير من الاحوال

هذا وأن عناصر المدنية القديمة هذه مثل فن البناء والنقش والنجارة والنحت كانت وليدة فن التحنيط العجيب كما ان أثرها فى العقائد الدينيـة والشعائر القومية لا يقل عن مصدرها وأسها وهو التحنيط فى أهميته

واليك وصف هيرودوت حالة الموت والأسى زمن قدماء المصريين إذ

قال « اذا مات سيد عشيرة قد سودوه أتت اليه نساء عترته ووليجته وخضبن أيديهن ووجوههن بالحمأ ثم تركنه في عقر داره وجسن خلال المدينة يندبن ويولولن ويلطمن كما كان الرجال يلطمون مثلهن واذا فرغن من هذا النحيب والندبه حملن الجثة لتحنيطها » وهنا لك فئة من المحنطين اختصوا بهذا التحنيط فعند ما تحضر اليهم الجثة يطلعون حملة الميت على نماذج خشبية من الجثث المحنطة تحاكي الموتى تمام المحاكاة مستعينين على تصويرها بالالوان المموهة والاصباغ الموشاة ويبرزون لهن ثلاثة نماذج منها لاختيار أحدها للنسج على منواله وهي «الانموذج الارقى» و «الانموذج الاوسط» و «الانموذج الادنى» فيختار آل الميت أحدها وبعد أن يتفقن على الأجر يعدن إلى بيتهن ويدعن المحنطين يعملون عملهم . ثم يظل التحنيط نحو سبعين يوما . وفي نهاية هذه المدة يحمل آل الميت من النساء الجثة ثانية ثم يذهبن الى النجار ليصنع لها نعشا خشبياً على هيئة الميت ثم يضعنها فيه ويقفلنه ويحملنه الى القبر باحتفاء واحتفال عظيمين حيث يضعنه منتصبا بجانب الحائط »

وهذه الجثث المحنطة تسمى (بالمومياء) وترى أمثلتها كثيراً في دار العاديات المصرية ومما يدهش المرء اتقان تحنيطها لانها ظلت عدة آلاف من السنين لم يعتورها الفساد لاسيما وجوهها التي لم تزل عليها مسحة الميت ومحياه . وخشية أن يصلها الهواء فيحلل أجزاءها كسا المحنطون كل جزء من أجزاء الجسم بشرائط من التيل حتى انك ترى أصابع الميت وارجله مكسوة بهذا الكساء



العقائد الدينية القديمة

إن عقيدة الخلود والازلية كانت قديمة العهد جداً . ويرجح بعض المؤرخين أنها أقدم عهداً من المصريين القدماء . ولكن هنالك حججا بينة تدل على أن هذه العقيده لم تختمر الا فى عهد الفراعنة حينما فطنوا الى تحويل الجثة البالية إلى جنة خالده بوساطة التحنيط وفضلا عن ذلك فان الشعائر الدينية المدعمة قد دعمت على عقيدة المصريين القدماء فى احياء الموتى او أشباحهم من تماثيل ونصب باحراق البخور وصب المياه العطرية وفغر فم الميت ليتنسم هواء الحياة ثانية وما شاكل ذلك من الاعمال التى تعيد الحياة إلى الميت فى اعتقادهم وبوساطة هذه الشعائر الدينية اعتقدوا أن الكاهن يستطيع احياء الجثة الهامدة وجعلها قادرة على القيام بأعباء الحياة بل واستماع أحاديث الآخرين ومساعدة البائسين وتلبية نداء السائلين . ولم يكن ثمة دولة أخرى فى الأعصر الخالية قد أعارت هذه العقائد الدينية المدهشة عناية كبرى غير مصر . فقد ابتدعها سكان وادى النيل القدماء وعدوها جزءاً لا يتجزأ من فلسفة الحياة والموت وبذلك ظنوا أن حياتهم ستظل آمنة وجسومهم محفوظة لا يعتورها البلى ولا يساورها الفساد كما وثق كل واحد منهم بنصيبه فى الخلود ومكافأته بعد حياته الدنيوية بعيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية

وقد نشأت هذه العقيدة منذ ستين قرنا خلت من وقتنا هذا أى قبل بدء المدنية المصرية القديمة . ولكن هذا الحادث الجلل وهو بزوغ شمس المدنية المصرية على العالم قد أيد هذه العقائد وبعث فى الناس شغفاً كبيراً وهياما عظيما بدراستها

بلوج فجر المدنية

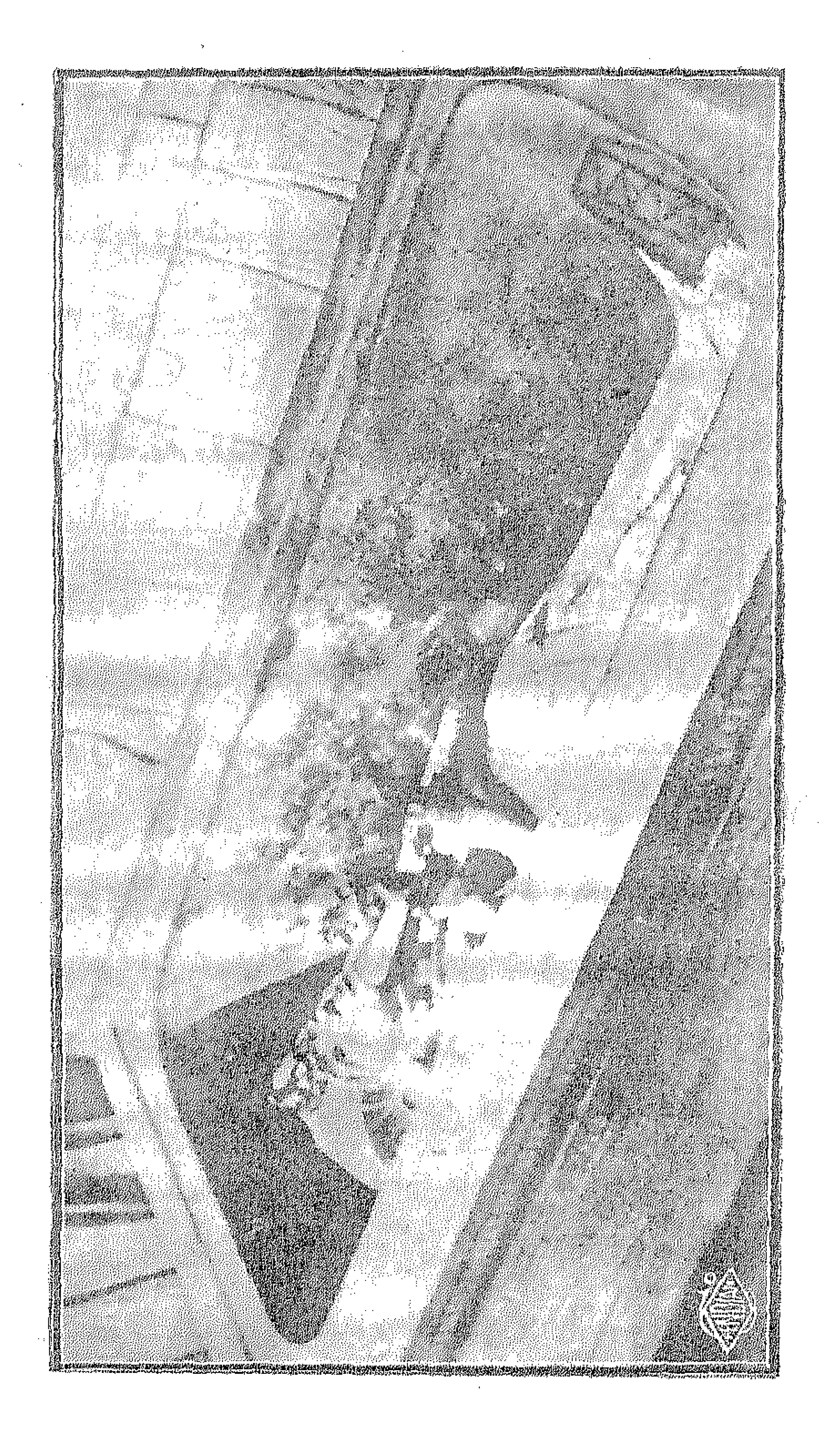
لقد تبلج فجر المدنية الشرقية حينما ابتكر قدماء المصريين طرق الزراعة وابتدعوا وسائل الرى . اذ كان مهندس الرى فى ذاك العهد أول رجل فى تاريخ العالم عرف كيف يسوس عماله وينظم أمورهم وبذلك صار حاكما على ولايته اميرا على رعيته ولم يكن ثمة شىء تفتقر اليه مصر فى تاريخها القديم سوى حكومة فردية قوية توليها امورها وتسترعيها حقوقها لان الميزة التى امتازت بها مصر على سائر الممالك الاخرى وجود نهر النيل العظيم الذى جعل سعادة البلاد ورفاهيتها تتوقف على توزيع مياه الرى بالقسطاس الحكيم على سائر البلدان . فليس اذن من العجب أن ترى المهندس الذى أفلح فى قضاء مهمته يهيمن على رعيته ويسيطر على حياة امته فيصبح حكما عدلا بينهم يمجدونه فى حياته ويعبدونه بعد وفاته ويلقبونه بالاله اوزوريس علما لنهر النيل الذى هو السبب فى حياة البلاد وسعادة الاهلين . ومن العجب العجاب أن ترى هذا الفرد الاحد هو المهيمن العزيز المسيطر على حياة رعيته ورفاهية امته . وما ذلك إلا لأن المصريين القدماء لم يألفوا حاكما غيره أو يروا فرعونا دونه فى ذاك العهد وربما لم تكن العلاقة بين هذه النظرية وبين توت ــ عنخ ــ آمون جلية واضحة . ولكن عندما يتحقق الانسان أن الحياة الاجتماعية فى ذاك العهد تتمثل فى الاله اوزوريس يسهل عليه أن يتصور أن الغرض من التحنيط وحفظ الجثة هو تمثل الميت باوزوريس الحى القيوم لكى تتجلى فيه الصفات الألهية المذكورة فيمنح الخلود والازلية والسعادة الابدية ولما كان ملوك المصريين القدماء قد بلغوا غاية عظيمة من الثراء والسلطان فانهم لم يترددوا قط فى إنفاق اموالهم الباهظة وعنايتهم العظيمة فى اقامة المقابر لعقيدتهم الباطلة ومزاعمهم الفاسدة فى الحياة بعد الموت . وكانت هذه العقيدة مستأصلة فيهم فى عهد توت ــ عنخ ــ آمون

أي منذ عشرين قرنا خلت وبذلك أنفقوا أموالا باهظة كما ذكرنا فى انشاء مقابرهم وتخليد مآثرهم « بابواب الملوك » . وان الغاية من دراسة هذه العادات المدهشة والعقائد الباطلة لم تكن لانها من مبتكرات المصريين فقط حتى يمكننا تقفيها من البداية الى النهاية بل لان الامم الاخرى القديمة التي تدين أوروبا لها بمدنيتها الحالية قد اخذوا قسطا وافرا من عادات المصريين القدماء ونسجوا على منوالها وهذبوها ثم جعلوها القطب الذى تدور عليه رحى المدنية الحديثة . ومن ثم يتضح لنا أن دراسة التاريخ المصرى القديم تقودنا الى دراسة حياتنا الاجتماعية وعاداتنا القومية التي نحن بصددها كل يوم ولهذا يجدر بنا أن ننظر الى التحنيط نظرة ارقى من التى ننظرها لمجرد الروعة والفتون لان هذا الفن قد مثل دورا كبيرا فى تقدم المدنية البشرية من الوجهة الفنية والعلمية والعمرانية

البعث والنشور

اذا رجعنا البصر كرة فى التحنيط والغرض الذى يرمى اليه صناعه رأينا من عهد نشأته فى تلك العصور السحيقة أن المحنط المصرى يبغى وجهتين قد ولى وجهه شطرهما فى صناعته — الغرض الاول ان يحافظ على عناصر الجسم بقدر طاقته — الغرض الثانى وهو اصعب مراما وابعد غاية من الاول وهو أن يحافظ على شكل الميت وبخاصة محياه ولم يكن هذا الغرض لمجرد حفظ هيئة الميت فقط بل لجعل الجثمان يحاكي الشخص المتوفى بقدر استطاعته أو بعبارة اوضح من ذلك جعل الميت يحاكى الحى حتى يظل الانسان فى اعتقادهم حيا خالدا مستمتعا بكامل حياته . ذلك لان المصريين كانوا يعتقدون أن فى استطاعتهم منح الحياة للهيكل المماثل للانسان حتى أن اللفظ الذى اصطلح عليه النحات فى نحت التمثال هو كما ترجمه حرفيا الدكتور الن جاردنر « يخلق » أو « يحيي »

وبعد ذلك لم يبق ثمة ريب فى انهم قصدوا من إقامة التماثيل الخلود لامجرد الزينة ويجدر بنا أن نذكر أنه عند نشوء هـذه العقائد فى تلك الازمان البائدة لم يكن علم الحياة أو علم الطبيعيات معروفا وقتئذ حتى يقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق مآرب المصريين وأمانيهم الخيالية فى ذاك العهد . ولا مرية فى ان الفلاسفة فى ذاك العهد كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا إطالة الحياة لبلوغ تلك الامنية اذا توافرت سائر الشروط وهى أمنية الخلود والبقاء ولما ابتدع فن التحنيط وربما كان ذلك فى عهد الاسرة الاولى حوالى عام ٣٤٠٠ قبل ميلاد المسيح عليه السلام أيقن المحنطون انه اذا كان جو مصر يلائم حفظ العناصر المكون منها الجسم سهل عليهم حفظ هيئته واوضاعه واذا لم يكن ملائما تعذر عليهم ذلك فابتكروا وسائل عدة فى خلال الاسرة الثانية والثالثة والرابعة بلف اجزاء الجسم لفا محكما حتى يحفظ شكله الحيوى ثم صبغوه بمواد كالصلصال والغراء ورسموا شكلا يحاكيه تمام المحاكاه على النعش . ولما اخفق مسعاهم وحبط عملهم فى حفظ الجثة على شكلها الحيوى الى الابد عمدوا الى اقامة التماثيل والدمى التى تحاكى الميت وصنعوها من الخشب المتين او الحجر الصلد واستعانوا على تصويرها بالاصبغة الموشاه والالوان المموهة والاعين الصناعية حتى صارت تماثل الميت بقدر الامكان وان المهارة العظيمة والحذق المدهش اللذين ابداهما قدماء المصريين فى عهد بناة الاهرام قد تغلبا على الصعوبات التى تصدت للنقاشين فى جعل الاثر يحاكى الميت كل المحاكاة فبلغ فن النحت فى ذاك العهد مبلغا لم يبلغه من قبل . ولم يعد تقدم فن النقش هذا فخرا مبينا للصانع فحسب بل الفخر الاعظم له حفظ الاثر الذى بخلوده يظل الجثمان باقيا لا يبلى على كر الغداة ومر العشى



(شكل ١٣) الملك توت — عنخ — آمون. فى مثواه الاخير

التحنيط والقبور

ومع أن هؤلاء المحنطين القدماء احرزوا قصب السبق فى صناعتهم
لم ييأسوا قط من ايصالها الى حـد الكمال بجعل الجثة المحنطة تحاكى

الشخص المتوفى تمام المحاكاة . فظلوا يبذلون جهدهم ويستنفذون وسعهم مدرعين بالصبر والاناه فى عملهم هذا الشاق . ولكنهم لم يستطيعوا ابراز الجثة المحنطة فى صورة تمثيلية تحاكى الميت تمام المحاكاة الا فى عهد الاسرة الحادية والعشرين . واذا نظرنا الى هذه الصناعة الاخيره وهى ابراز الجثة المحنطة فى قالب صوره جميلة نرى انها قد حطت من فلسفة الفنون الجميلة ولكن اذا نظر اليها المحنط فى ذاك العهد يرى انها نهاية أربه بيد انها فى الحقيقة مقدمة لانحطاط صنعته لان هذه الصناعة المستحدثه التى هى وليدة التحنيط اصبحت من أشق الصناعات إذ يتعذر على المصور إدراكها بالدقه فاضمحل فن التحنيط لذلك ولكى يخفى المحنط عن أعين الناس نقصه فى صناعته عمد الى حيلة احتالها وهى أن يولى وجهه شطر كساء الجثة وتنميقها وتجميلها اكثر من عنايته بتحنيطها

وفى الحق أننا اذا نظرنا الى عمل المحنطين فى عهد الاسرة الحادية والعشرين نرى أنها أعجوبة من أعاجيب العالم ومعجزة من معجزات الانسان الذى استطاع أن يحول شكل الميت الى شكل الحى واذا قسنا تلك الصناعة فى أدوارها المختلفة بمقياس الحكمة والفلسفة الفنيه نرى أنها بلغت أوجها فى عهد الاسره الثامنة عشرة أى زمن توت ــ عنخ ــ آمون وأعظم أمثلة لها هى ما يراه المرء فى جثة (يوا) المحنطه (المومياء) وجثة (توا) وجثة (سيتى الاول) تلك الامثلة التى تدل على أنه فى العصر الذى حنط فيه (توت ــ عنخ ــ آمون) قد بلغ المحنطون والمصورون مبلغا عظيما لم يبلغه غيرهم فى ابراز الجثة المحنطة فى صورة بديعة لم يشهد العالم مثلها فى تاريخ الصناعات .

غير ان نباشى القبور وسرقة الاجداث قد أبرزوا لعالم الفنون الجميلة تلك النماذج البديعة من الجثة المحنطة (المومياء) فى عهد الاسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين أى قبيل وبعيد النبوغ الفنى الذى حدث حوالى عهد توت ــ عنخ ــ آمون ولو ان هؤلاء النباشين قد ركبوا متن الشطط

فى عملهم هذا فاتجهت أنظار العالم لاصلاح ما أفسدوه . كما ان نهب القبور الملكية فى الأسرة العشرين وما بذله القساوسة والرهبان فى رتق هذا الفتق ورأب ذاك الصدع قد بعث على تغيير الخطط المتبعة فى هذا الفن فى عهد الاسرة الحادية والعشرين لان اشتغالهم بذلك سهل عليهم دراسة أغاليط اسلافهم ومداواتها — ولقد استفاد الكهان كثيرا من تجاربهم هذه يشهد بذلك التغيير الذى طرأ على هذه الصناعة التى بلغت فى الاسرة العشرين مبلغا لم تبلغه من قبل — لان الافكار العامة قد اتجهت الى اصلاح النقص والتشويه الذى بدا على (المومياء) فى عهد الاسرة التاسعة عشرة . فان الخدود الضامرة قد برزت لما حشيت بالتيل أو الصلصال ثم صبغت وأعيدت العيون الصناعية للجثة كما ان الانف والاذنين والشفتين قد حفظت فى كساء من الشمع كما تخذت وسائل أخرى لتحويل (المومياء) من شكلها الهزيل الى شكلها الحيوى الصحى . وقد بلغ فن التحنيط أوج غايته وأقصى مداه فى خلال الستة القرون التى تبدأ من سنة ١٥٠٠ وتنتهى فى سنة ٩٤٠ قبل ميلاد المسيح عليه السلام تلك الفترة الممثلة فى مجموعة التحف والآثار التى بدار الآثار المصرية اذ هى تمثل خطط المصريين فى تحنيط الموتى وبلوغ هذا الفن أقصى غايته كما انها الآن مصدر معارفنا فى تاريخ هذا الفن الجميل . ولقد اوضحنا فيما سبق الاسباب التى حدت بقدماء المصريين الى تشييد قبورهم وامدادها بدواعى الترف والنعيم . اذ كان الغرض من تحنيط جثة الفرعون من الفراعنة البقاء والخلود بعد الموت وان عقيدتهم لبلوغ هذه الغاية تتوقف على حفظ الجثة فى قبر لا يبلى أبدا وذلك مما دعاهم الى امداد القبور بالرياش الفاخر والمؤن الكافية لأطعام الميت وراحته واستمتاعه بكل دواعى الترف والبذخ وضروب النعيم التى كان يألفها فى حياته ولزيادة التحقق من ذلك نقشوا على حياط القبور وعلى الناووس والنعش وعلى أوراق البردى والرقوق المنظومة فى القبور بعض آيهم المقدسة التى تجعل فى زعمهم روح الملك

تمثل فى أوزوريس الحى القيوم فمشاركة هذا الاله فى الهيته ويشاطره أزليته كما انهم سوا طرقا أخرى واسلكوا خططا شتى لبلوغ هذه الامنية

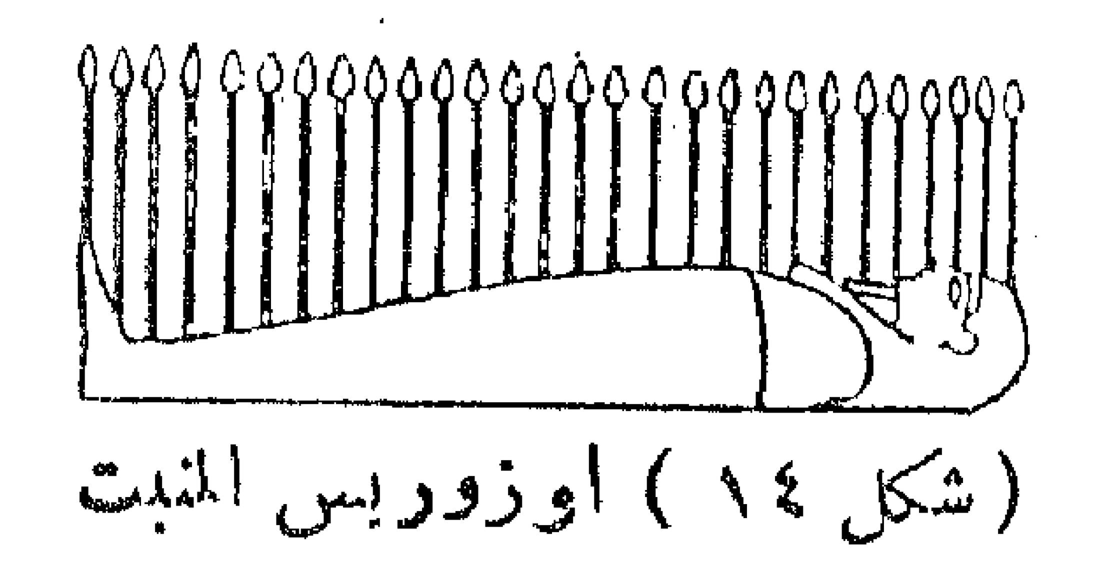
ولم تر العين من المخلفات الاثرية الخلابة فى عهد الاسرة الثامنة عشرة مثل «اوزوريس المنبت» الذى استرعى الافئدة واستهوى الالباب . وقد وجد كثير من نماذج هذا المثال العظيم فى قبور اسلاف توت عنخ امون صاحبة الجبانة حتى عصر امنحتب الثانى (اى عام ١٤٢٠ ق : م) كما ان هذا الانموذج قد بلغ نهاية الكمال فى قبر خلفه حرمحب اى (عام ١٣١٥ ق . م) ولا يبعد ان يوجد كذلك فى قرنون — عنخ — امون وهذا الاثر الجليل مكون من صندوق طوله خمس اقدام ومصنوع على هيئة الاله « أوزوريس » لابسا تاجه وقابضا على عصيه وصولجانه . وترى الصندوق مقسما قطعا خشبية تبدو عليها تعاريج الوجه وقلادة العنق والاذرع وهو مملوء بالغرين المزدرع فيه الشعير . ولما ينبت الشعير وتعلو سيقانه بقدر بوصتين او ثلاث يغطى غطاء بحاكيه بوساطة دسر خشبية . ثم ينقش الغطاء ويلون باللون الازرق فتبدو عليه سمات الجسم ظاهرة بارزة وملونة بخطوط سوداء وحمراء

ولقد كان لقدماء المصريين طرق عدة لتحنيط الموتى أهمها ما يلى :

اذا مات الميت ذهبت وليجته او عترته الى المحنط ليريها نماذج ثلاثا للتحنيط تختار ما تشاء كما ذكرنا . ثم جىء بالميت اليه وعند ذلك يضعه المحنط على نصب التحنيط ثم ينقب ثقبا فى دماغه يخرج منه المخ وينقب ثقبا آخر فى جانبه الايسر ويخرج منه الحوايا والمعى ثم ينقع الجسم فى مزيج من النترون والسوائل الاخرى مدة نيف وشهر كى لا يعفن الجسم ثم يملأ البطن بقطع من الكتان او الرماد او نشارة الخشب بعد ان يضيف اليها مواد عطرية ارجة ثم يلف سائر الجثمان فى لفائف من الكتان المطلى بالقير حتى لا يصل اليه الهواء فيحلل أجزاءه او تصل اليه الهوام فتأكل لحاءه ثم توضع الجثة فى تابوت او اكثر حسب قدرة المتوفى ومنزلته وتلك

التوابيت مصنوعة من الخشب الجيد ثم توضع فى تابوت حجرى وتدفن فى الحفائر المنقوبة فى الصخور الصلده والصياخيد الصلبه لايتسرب اليها ماء النيل زمن الفيضان لهذا اختاروا الاضرحة والنواويس فى ذرى التلال وقلل الجبال ونجاد الربى والآكام . وفضلا عن هذه الوسائل كلها التى تخذها المصريون لحفظ الجثة من البلى كانت الفراعنة والنبلاء يعملون الدمى والتماثيل التى تحاكي الميت تام المحاكاه وينقشون اسم الميت عليها حتى اذا بلى الجثمان آبت (الكا) الروح الى التمثال يوم البعث والنشور فيستمتع الميت بكل وسائل الترف والنعيم كما كان فى الحياة الدنيا

الملك وأوزوريس



(شكل ١٤) اوزوريس المنبت

لقد أوضحنا فيما سبق عادات المصريين القدماء فى الجنازات والمناحات والشعائر الدينية والمناسك القومية التى كانت جزءا لايتجزأ من حفلات القبور وكيف كان الغرض منها لاطالة حياة الميت وتمتعه بالخلود كما كان الغرض من التحنيط حفظ الجثمان من البلى ولذلك عمد آل الفقيد الى كل حيلة احتالوها لبلوغ هذه الامنية كما أمدوا الميت بكل صنوف الطعام والشراب وضروب الترف والنعيم وفضلا عن ذلك قد وضعوا بجانبه « اوزوريس المنبت » ليحيى الجثة الهامده ويطيل فى حياتها وكما ان قدره هذا الاله كانت مستمدة من شكله المعروف فان روحه صارت مستمده كذلك من الشعير النابت الذى يدل على التطور من العدم الى الحياة . ولقد كان للشعير المنزلة الاولى بين سائر الحبوب لانه أقدم غذاء البشر فى عهد المدنية

القديمة . اذ كان عماد الحياة والمادة التى يعمل منها المذرذلك الشراب الذى كان فى عقيدتهم « شرابا طاهرا مقدسا » لاشتماله على المواد المكونة منها الحياة والباعثه على اطالتها ولأن أس العبادة المصرية قائم على بلوغ هذه الغايه ولان شكل حبة الشعير يحاكى «عضو التأنيث» (منبع الحياة) صارت هذه الحبة رمزا لقوام المعيشة ومنبعا للحياة كما صارت علماً على الأمم الالهية التى هى مصدر الحياة مثل حاتور وايزيس وبذلك صار الشعير رمزا حيويا لاطالة الحياة اكثر منه ماديا لاستخدامه فى الطعام والشراب . وترى هذه العقيدة مدونة فى كتاب آيات الاكفان للدولة القديمة الذى ترجمه . م ـ لا كو حيث ترى الميت ممثلا فى اوزوريس الشعير كما ترى ذلك مذكورا فى الآيات الهرمية فى العصور الأولى من تاريخ الفراعنة حيث تقول روح الملك المتوفى نقلا عن الاستاذ برستد . « انى اوزوريس حى قيوم كباقى الآلهة . انى اعيش كحبة الشعير وانمو كحبة الشعير » وكما أن النيل ممثل فى فى الاله اوزوريس لانه يمنح الحياة للشعير بسقيه اياه كذلك كان الاله يمنح الخلود والحياة للميت

قصة الطوفان

منذ نصف قرن خلا من وقتنا هذا اتفق اصحاب صحيفة (الديلى تلغراف) البرق اليومية مع رؤساء المتحف البريطانى أن يرسلوا المستر جورج سمث الى أرض الجزيرة بالعراق للبحث فى انقاض دار الكتب لاشور بانيبال فى نينوى عن قطع من الالواح المكتوبة الضائعة لرأب الصدع ورتق الفتق الذى كان فى حكاية الطوفان الكلدانية . وان ذيوعة هذا النبأ العظيم وكشف هذا السر العجيب قد هاج مهيج العالم وادهش افئدة البشر فى سائر انحاء المعمورة . ولقد قامت هذه الصحيفة الغراء بالانفاق على هذا الكشف وحدها . ومع أن سر هذه الحكاية قد وجد فى مكتبة

اشورية لم تكن اقدم عهدا من القرن السابع قبل الميلاد فان المستر جورج سمث تنبأ بأن المستقبل سيظهر أن هذه الحكاية أقدم عهدا من ذلك بكثير كما ايد ذلك كتاب بيكرن . هذا وان الكشف الحديث للصورة الاصلية السومارية لهذه الحكاية التى كتبت منذ عشرين قرنا قبل تاريخ دار كتب اشور بانيبال قد ايدت اقوال المستر جورج سمث ونبوءاته

ومما يزيدنا عجبا ان نقرأ هذه الحكاية المدهشة التي خلبت الافئدة واستهوت الألباب فى صحف قبور وادى الملوك . اذ كشف على حيطان قبر سيتى الاول الذى دفن فى بيمع طيبة بعد موت توت — عنخ — آمون بسبعين سنة او اقل تلك الحكاية الرائعة التى عنوانها « هلاك البشر » وعلى الرغم من ان هذه الحكاية منقوشة على هذا القبر المذكور فأن الغموض الذى يحيطها العتيق قد جعلها غير واضحة لطلاب الآثار الذين استنبطوا أن هذا الحادث الجلل قد حدث منذ أربعة آلاف سنة خلت من وقتنا هذا . ومع ان النقوش المذكورة التى فى قبر سيتى تدل على ان هذا الدمار الذى حدث لم يكن من جراء الطوفان فأن الحكاية المصرية والحكاية العراقية مجمعتان على الاصل ومتفقتان فى الجوهر وان كانت الاولى عنوانها « هلاك البشر » والثانية عنوانها « قصة الطوفان »

وربما يتساءل الناس لماذا نقشت هذه الحكاية المقدسة على قبر أحد الفراعنة . ان الاجابة على ذلك هو ان الغرض منها ان يحتفظ الملك المتوفى بتلك النعمة الجليلة والهبة العظيمة التى دار عليها محور هذه القصة فهى تؤيد كيف أن سن الكهولة قد أثر فى صحة الملك الذى يتوقف عليه قوة شعبه ورفاهية رعيته . ومما نغص عيش الملك وسلب نعيمه وكدر صفوه فى ذلك العهد ثوران الشعب فى وجهه وخروجهم عن طاعته اذا وهنت عزيمته وضعفت شوكته لانه فى تلك الاعصر الخالية كانت تتوقف حياة الرعية وصيانتها على قوة مليكها كما كان من عادتهم ذبح الملك اذا خارت عزيمته وضعفت ارادته وتولية ملك غيره قويت شكيمته واشتد ساعده . وان الغاية من هذه

القصة التى صارت طلسماً يحفظ حياة الملك وتعويذة لاطالة حياته (وهذا هو الغرض من نقشها على قبر فرعون المذكور) هى انها كانت تصف كيف أن الملك الكهل يخدع الطبيعة ويقوى عليها ويتصابى ثانية . وأن أكسير الحياة الذى كان له قد يستمده مرة أخري من دماء رعيته التى أمر بذبحها لما جنته من الاثم الكبير وهوالغدر بالملك والكفر بالنعمة وخروجهم عليه لضعف صحته ووهن عزيمته . ولكنهم لما نحروا تصابى الملك من دمائهم واستمتع ثانيا بعيشة راضية مرضية وحياة أبدية فامتطى صهوة البقرة المقدسة وعرج فى السماء وفاز بالنعيم السرمدى . وتلك القصة المدهشة عينها كان الغرض منها المحافظة على حياة الملك فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهى تشمل كذلك مبادىء الوثنية التى ظلت ردحا طويلا من الزمان وانبثت فى سائر الآفاق أبان المدنية القديمة . ومع أننا لم نعثر عليها فى قبر توت ـ عنخ ـ آمون فانها كانت منتشرة فى عهده لانها وجدت منقوشة على قبر خلفائه الذين حكموا بعد مضى نصف قرن من وفاته ولا مراء أن هذه القصة قديمة العهد جداً غير أنه انتابتها أساطير الجاهلية وخرافات الوثنية . ولقد أشرنا اليها هنا لان معالمها بدت على الأثاث الذى وجد فى قبر توت ـ عنخ ـ آمون كما أيد ذلك ما وجد منقوشا فى قبر سيتى الأول ورمسيس الثانى

ولقد كان الغرض من « هلاك البشر » الوصول إلى الحياة والتمتع بالخلود ولبلوغ هذه الامنية عمدوا الى إقامة الشعائر والمناسك الدينية بكل ما أوتوا من بأس وقوة لانهم اعتقدوا هذه الخرافه أن « قتل البشر » كان لامداد الملك المتوفى بمادة الحياة التى هى عبارة عن الدم البشرى كما بينا حتى يصل بذلك إلى الخلود الذى كان من صفات الآلهة وان دم الاولياء البرآء المذبوحين فداء لمليكهم هو مادة الحياة التى بها يتحول ساكن الارض الفانى الى ملك حى باق وان الذريعة التى تذرع بها الملك فى قتل تلك النفوس البريئة هى الخطيئة والغدر اللذان اتهمهم بهما الملك بقوله

أنهم عملوا على إذاعة هرمه وضعف ارادته ولقوا حتفهم ذلك لانه رأى أن إذاعة هذا النبأ قصاصه الاعدام . ومن عهدالعصور الأولى التى ظهرت فيها هذه العقيدة الى ان وصلت الى عهد الملك سيتى رأت الرعية قتل الملك الهرم واحلال الملك الفتى القوى القدير محله فلا نعجب اذن من شعور الملك اذا ثارت رعيته فى وجهه لكبر سنه وفل عزمه ووهن قوته تلك الصفات التى حدت بهم الى قتله ولقد أوضحنا فيما سبق ان تهمة الغدر هذه والخروج على الملك هى عنوان « الخطيئة الاصلية » التى ذكرها علماء اللاهوت . وهذه القصة عينها هى التى ذكرت فى كتاب جنسس بشكل آخر فامتزجت القصة الاولى « هلاك البشر » بالقصة الثانية « طوفان النيل » كما صار دم البشر المضحى به علما على ماء النيل الاحمر زمن الفيضان ولو ان كلتا القصتين متفقتان فى عنصرهما وفائدتهما والغرض الاسمى الذى يرميان اليه هو احياء الملك وسعادة شعبه ولما ان ذاعت هذه الحكاية فى البلدان الاجنبية كثر رواتها فتمثلت لهم بشكل آخر وعزوا هلاك البشر الى فيضان النيل وما آفة الاخبار الا رواتها . وان هذه الحكاية قد تأصلت فى تاريخ الاديان الاخرى ولم يكن ذلك لانها أظهرت غضب الآلهة على الاثم المساور للذنوب بل لانها مهدت للملك الشيخ اعادة شبابه وتمثيله فى شكل اله قوى قدير كما ان حوايا القبور الملكية المصرية كانت العطب الذى دارت عليه رحى العقائد الدينية الاخرى التى تأصلت فى الامم التى كانت مرتبطة بعصر بذلك النظام العرفى القائم على نظرية الخلود التى ابتدعها التكهن المصرى القديم فهى عهد لنا السبيل وتسير لنا المحجة لدراسة تاريخ بنى اسرائيل ومعتقداتهم .

ومن مميزات العادات والعقائد الدينية التى كانت للفراعنة انهم كانوا يعبرون عن الاشياء على سذاجتها وبساطتها كما تبدو لهم . ولا يمكننا ان نجد أمة أخرى نستطيع تقفى آثارها وأدوار نشوئها ومناحى مدنيتها

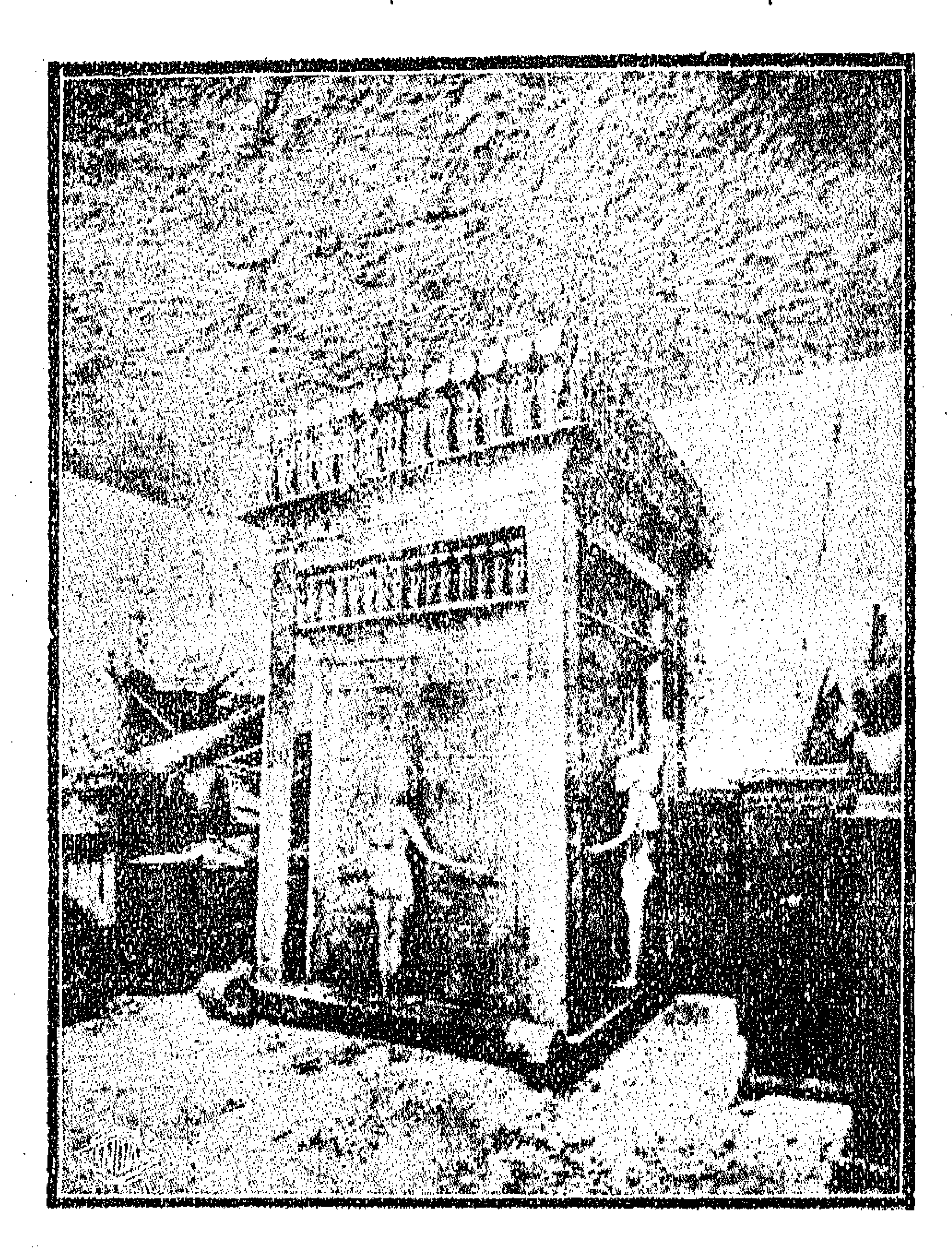
كالامة المصرية . ولم تك أدوار المدنية هـذه الممثلة فى ربوعهم ودورهم محفوظة على حالها حتى وقتنا هـذا فحسب بل نجدها منقوشة على القبور بشكل واضح مما سهل على حلالى المعضـلات وكاشفى الظلمات دراستها والوقوف على الغاية التى قصدها صناعها منها . وهذا هو الذى بعث فى طلاب التاريخ وعلماء الآثار الهمم لدراسة تلك العادات والمعتقدات . وأن عناصر المدنية الأولى كانت من بنات أفكار المصريين التى أخذها عنهم العالم بلا ثمن ولا جزاء وبلا محسنات ادخلت عليها.

وقد جعلنا هذا الموضوع مقدمـة لدراسة معدات الجنائز والمناحات التى فى قبر توت — عنخ — آمون

الكنز الدفين والقبر المكنون

لم يكن الغرض الوحيـد من وضع هذا الكتاب ذكر حوايا قبر توت — عنخ — آمون وما أكنه فى جوفه من الرياش الثمين والأعلاق النفيسة والزرابى المبثوثة والنمارق المصفوفة والارائك المنصوبة والفرش المنجدة والحلل المنضدة والاوانى المرقشة والبسط المبرقشة . انما غرضنا الاسمى وهمنا الاكبر ذكر الفوائد الادبيـة والثمار الفنية التى نجنيها من احشاء هذا القبر وان الذين رأوا أمثال تلك النفائس فى قبور (تحتمس الرابع وبوا وتوا واخناتون) تذهب قلوبهم شعاعا وأفئدتهم هواءً عند رؤية هذه الخافات العظيمة فى قبر توت ـ عنخ ـ آمون التى برزت فى صناعتها كل صناعة وفى نسجها كل حياكه . فأن عرش الملك مثلا أنموذج بديع من الصناعة الدقيقة وكذلك العجـلات والمركبات والكراسي والارائك والنمارق والزرابى والدمى والخفاف والفسيفساء لا نظير لها فى العالم وأبدع من ذلك كله النعش الملكى الذى يبرهن على ما كان لهذا الملك من العز والسلطان والابهة والجلال . وان علماء الآثار الذين ملؤا متاحف العالم من آثار

الفراعنة ومخلفات المصريين القدماء خروا سجدا لما رأوا تلك المخلفات التي حفت أقلامهم فى وصفها وعجزت أناملهم عن كشف سرها .



(شكل ١٥) الناووس الذى يحتوى على حشا الملك

وأول ما يبدو لنا من تلك الكنوز الفاخرة انها تعزى الى عنصرين جليين هما ما كان يستعمله المتوفى فى خلال حياته وما أعد له بعد وفاته . ويمكننا ادراك هذا الفارق جليا اذا وازنا بين المركبات التى بالبهو والمركبات التى بالمقبرة ، ولم أشأ مواصلة البحث فى محتويات ذلك النعش الملكى العظيم « ضيان العرش » الذى هو مثال بديع من الصناعة الدقيقة فأن التجارب

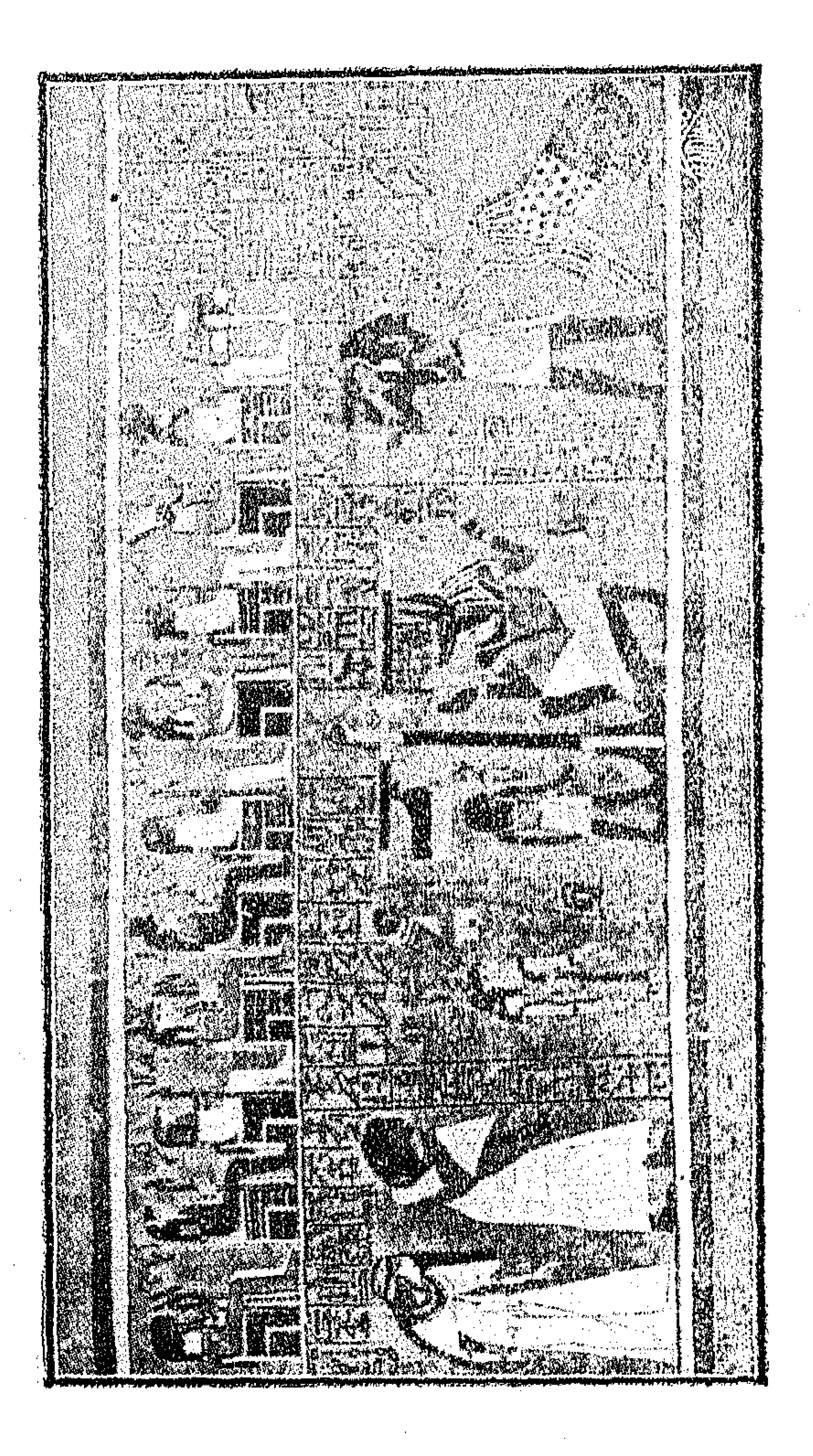
دلتنا على ان الحوايا التى وجدت فى مثل هـذا الصيان فى القبور الاخرى تجعلنا نعتقد أن قلب توت ـ عنخ ـ آمون لم يدفن معـه فى صيانه ولم يوجد بأجزاء الصندوق الاربعة سوى تلك الاعضاء البشرية وهى « الـكبد والرئتان والمعدة والمعى » أما قلبه وكليتاه فقد ظلا فى جسمه .

واذا نظرنا الى تلك المحتويات من الوجهة الفنية نجد ان من بين الاثاث والـكُسا الجميلة التى وجدت فى قبر الملك المذكور الثلاث الأرائك المصنوعة صنعا دقيقـا والتى تحاكى الحيوانات الثلاثة : البقرة والاسد وفرس البحر . ومع ان هذه الارائك لم تخرج عن كونها فرعونية الاصل مصرية الرسم نجدها عادة فى الصور المصرية القديمة غير اننا لم نعثر على أمثالها فى فن الصناعة من قبل فهى خليقة اذن بالعناية التامة والدرس المستمر لانها تمثل العقيدة المصرية القديمة لسكان وادى النيل وهى التى سنذكرها فيما بعد

دار القضاء

كانت عقيدة قدماء المصريين ان الميت اذا مات تحاسب روحه حسابا دقيقا وتوزن اعماله بقسطاس حكيم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان اوزوريس هو الحـكم العدل المتربع فى كرسى القضاء يحف به اثنان واربعون قاضيا للشورى على رءوسهم سمات العدالة والانصاف وكانت توزن اعمال الانسان ويشهد عليها قلبه فمن كان مقارفا للذنوب سفاكا للدماء مساورا للآثام فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا واما من كان طاهر القلب نقى الاعراق صفى الروح حاقنا للدماء فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا وكانت جنة الفردوس لديهم ارضا خصبة التربة طيبة النبت فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وفيها من كل فاكهة زوجان وفيها تزرع الحنطة التى يناهز ارتفاعها خمسة اذرع والسنبلة ذراعين وكانت الارواح تغدو وتروح فيها كما تشاء وإن

شاءت أنابت عنها تماثيل صغيرة من الخزف أو الخشب أو الفسيفساء وهذا هو السبب الذى حدا بهم الى وضع هذه التماثيل مع الميت . وفى هذه الفردوس تتمتع الأرواح بالسعادة والرفاهية والعيشة الراضية فى جنة عالية قطوفها دانية



(شكل ١٦) محاكمة الكاتب آنى الذى توزن اعماله بريش النعام

واليك مثالا من دار القضاء يحاكم فيها الكاتب آنى حيث يزنون قلبه بريش النعام بالمعيار الحكيم والقسطاس المستقيم

العروج فى السماء والرحيل الى الجنة



(شكل ١٧) البقرة المقدسة حاتور

ان النظرية القائلة بان العروج فى السماء هو من بنات افكار الكهان المصريين واس العبادة الوثنيـة قضية مسلم بها لامرية فيها . ولقد تساءل الناس كثيرا فى هـذا الموضوع فقالوا ـ كيف يتسنى لساكن الارض ان يعرج الى الجنة فى السماء العليا

وما تلك المطية المدهشة التى يمتطيها حتى يصل الى العرش . ولقد اوضح هذه النظرية المسيحين من ابناء جلدته القسيس انج الانجليزى فقال فى تقريره « انه لا ينطبق على اصول العلم الحديث وجود سماء مادية محسوسة ولكن لابد لنا من تصور ذلك اذا اردنا التسليم بهذه العقيدة » . اما قدماء المصريين

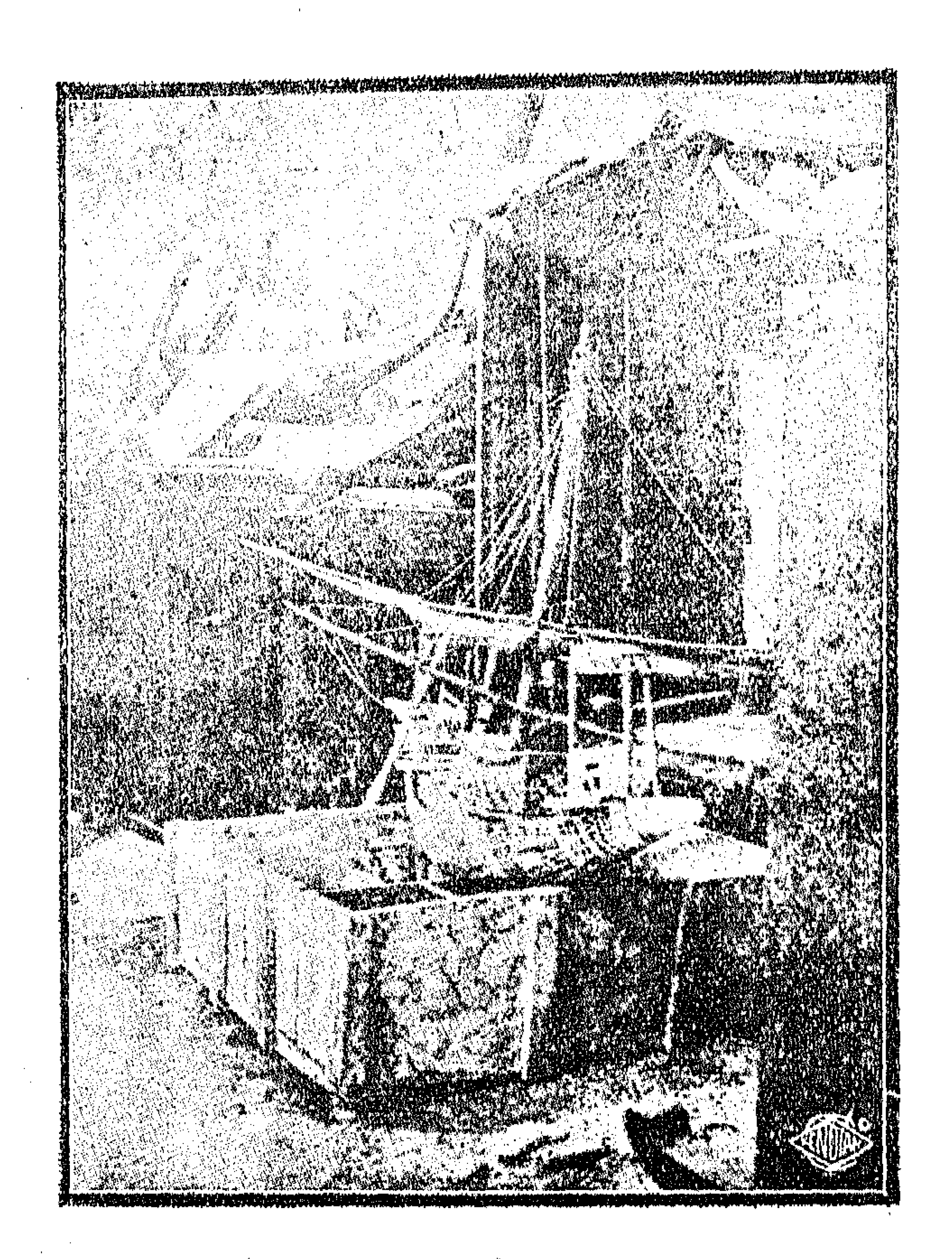
فكانت عقيدتهم في السماء المادية ركنا من اركان الديانة . كما انهم خططوا جنة الفردوس تخطيطا واوضحوا الصراط المستقيم ايضاحا كما يوضح الكاتب المصرى جغرافية أى اقليم . ولقد امدوا المتوفى بخريطة ليهتدى بها فى طريقه الوعر المحفوف بالمخاوف والمخاطر الى جنة الخلد ومع أن قدماء المصريين قد ابتدعوا طرائق شتى واتخذوا مطايا متعددة لايصال الميت الى جنة الفردوس آمنا مطمئنا فان هنالك مطية واحدة من اجمل المطايا التى لديهم قد ضربوا فيها بسهم وحظوا منها بقسط اذ كانت لهم جنة من الخوف وأمانا من الفناء ودرعا للخلود والبقاء ووسيلة الى بلوغ السموات وهى البقرة المقدسة المسماة حاتور . ولم تكن هذه البقرة سلما الى الحياة الازلية فحسب بل انها وسيلة للبقاء لانها تسقيهم لبنا مقدسا سائغا طهورا وتحملهم على ثبجها الى الجنة . وقد دلت الخطوط المنقوشة على قبر سيتى الأول على قصة البقرة الآلهية حاتور او توت المذكورة واستخدامها كمعراج يعرج فيه الملك المتوفى الى السماء ويحظى بالآلهة ويقيم فى جنة عالية قطوفها دانية .

وبعد أن تعيد اليه الربة حياته الأولى وشبابه الناضر يتحمل ثانيا اعباء الملك وتبعة الرعية الظلوم الغشوم التى ثارت فى وجهه . وخرجت عليه لكبر سنه ووهن قواه فعزم على ترك الدنيا الفانية وعرج فى السماء وامتطى صهوة البقرة المقدسة وارتقى الى الجنة حيث لبس القلنسوة الالهية وصار علما على الشمس . وترى البقرة المقدسة التى من عملها حمل الجنة الى نزلها السماوى مرسومة على التماثيل المصرية القديمة كما أن غرضها الاسمى وهو سعادة الميت ممثل بطرائق عدة واشكال شتى . فان هم النقاش المصرى كان رسم البقرة الالهية (حاتور) وهى تحمى الملك او تمده بماء الحياة وتسقيه لبنا سائغا من ضرعها . ولقد افرد (السير جاستون مسبيرو) بابا خاصا لهذا الموضوع مزينا بستة اشكال للبقرة من بدء عهد امنحتب الثانى (عام ١٤٤٠ ق م الى ما بعد الف سنة) ولكننا نعرف أن مهمة

البقرة حاتور كانت ممثلة فى اشكال اخرى من عهد بناة الاهرام فمثلا تراها ممثلة على اللوح الذى وجده الاستاذ ريزنر فى معبد هرم (منقريوس) من أعمال الأسرة الرابعة (حوالى عام ٢٨٠٠ ق م) كما عثر الباحثون على لوح الملك (نارمر) الذى يمت الى الاسرة الأولى (حوالى عام ٣٤٠٠ ق م) وترى هذا اللوح تذكارا تاريخيا مجيدا ذا اهمية عظمى اذ نجد منقوشا عليه اقدم انواع الكتابة الهيروغليفية فى تاريخ العالم . كما أنه من الاهمية بمكان لملاقته بهذا الموضوع لانك تجد على اركان اللوح العليا (حاتور) مرسومة ومما يدل على حمايتها للملك أن نجد الملك لابسا منطقة عليها رؤوس أربع بقرات عجاف بدل الحجاب المصنوع من الودع الذى كانت تلبسه السذج من الناس فى العصور الاولى .

وكانت هذه البقرة السماوية ربة الميت لانها تكسب الحياة وتطيل العمر بعد الوفاة كما أنهـا صارت علما على الاله لانها هى الوسيلة الوحدة لابلاغ الميت الى السموات العلى حيث يقيم إله الشمس .

وان من أجل المخلفات الاثرية الجليلة التى وجدت فى بهو مقبرة توت-عنخ - آمون تلك الثلاث الأرائك البديعة . فالأولى تمثل البقرة السماويه حاتور والثانيه تمثل تلك الربة عينها فى شكل لؤه أو ربما كانت تمثل ابنهـا هوراس على شكل أسد والثالثة تمثل تويرت أو ربة فرس البحر التى كانت القابلة (المولدة) الالهيـة ومن بين الاقاويل الكثيرة عن هذه الآلهة العظيمة لم نعثر على قول منهـا يعزز أهميتها أو عملها ولو أننا لم نجـد مثيلا لتلك المخلفات الاثرية الهائلة التى هى من شعائر المناحات . اللهم الا ماعثرنا عليه من رسم صورها على حياط المقابر فى مصر واتيوبيا وما تصفحناه فى كتاب الموتى من الصور المنقوشة على البردى كما ان الفصول المكتوبة فى كتاب الموتى الخاصة « بارتقاء النعش » لا تجعلنا فى ريب من أهمية تلك الارائك المنصوبة .



(شكل ١٨) السفينة الملكية لسفر الملك بعد الموت

ومما يدهش الابصار ويستوقف الانظار ان نرى النقاشين فى عهد توت ـ عنخ ـ آمون قد استفرغوا جهدهم واستنفدوا وسعهم فى تمثيل هذه الربة حاتور على الارائك إذ كان العامل الاسمى والوازع الاقوى فى تصوير هذه البقرة المقدسة تفانيهم فى العقائد الدينيه واعجابهم بالشعائر القومية التى ضحوا من اجلها بكل ثمين ومرتخص فلا مشاحة أن العامل فى هذه الحالة قد نسى او تناسى آلام النصب لحميته للدين وغلوه فى اليقين فهجر كل

ما علاك من زخرف الدنيا « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وانكب على صنع تمثال دينى لا يرجو من ورائه جزاء ولا شكورا ولكى نفقه السبب الذى من أجله صار لتلك البقرة المقدسة النصيب الاوفى والقدح المعلى فى حلبة الدواجن من الحيوان يجمل بنا أن نرجع البصر كرة فى الأهب والمعدات التى نصبت للقبور وهيئت للاضرحة . وناهيك بما بذلوا فى تحنيط الجثة والعناية الكبرى بحفظها وإجابة سؤلها وسد عوزها كل ذلك لاعتقادهم أن بقاء الميت كان متوقفا على الميرة والذخيرة التى دفنت معه ودواعى الترف التى رافقته ولكى يتحققوا ذلك لم يألوا جهداً فى الوصول الى تلك الغاية فنقشوا النقوش وخططوا الخطوط وسطروا الاساطير وكتبوا الآيات المقدسة على الاكفان والاضرحة والنواويس وأوراق البردى لكى يوفقوا بمناجاة أوزوريس للميت حتى يساهمه السعادة ويشاطره الغبطة والرفاهة . ولذلك عمدوا الى تمثيل أوزوريس كما بينا من قبل بالشعير المقدس الذى كانت الحبة منه فى عرفهم مثلا أعلى للأم الالهية المقدسة التى تحيي الموتى فى عقيدتهم وتسمع الصم وتكلم البكم وتشفى العمى وبذلك وضعوا قدرا كافيا من هذا النبات او مادة الحياة مع الموتى . وكانوا من وقت لآخر يولمون الولائم ويقيمون الشعائر فى القبور أو المعابد المصاقبة لها فى طيبه وغيرها لاحياء الميت وشد ازره على البقاء فاذا ما أيقن قدماء المصريين أن فى استطاعتهم نجاة أنفسهم وحفظ حياتهم وتحققوا بلوغ السموات بالمعوذات والتمائم لم يدخروا وسعا فى متابعة تلك الاعمال بكل ما أوتوا من حول وقوة وعزيمة ماضية لا يعتورها الكلال وهمة عالية لا يساورها الملال . وقد اعتقدوا بادىء ذى بدء أن الأم الالهية لم تكن الا طلسما او تميمة ممثلة فى قوقعه أو فى حبة شعير (كما يعتقد بعض الطغام ضعاف الاحلام اليوم فيعلقون القواقع والودع فى نحور الصبايا والصبيان التى فى اعتقادهم تمنح الحياة والسعادة البشريه لبنى الانسان)

واذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع

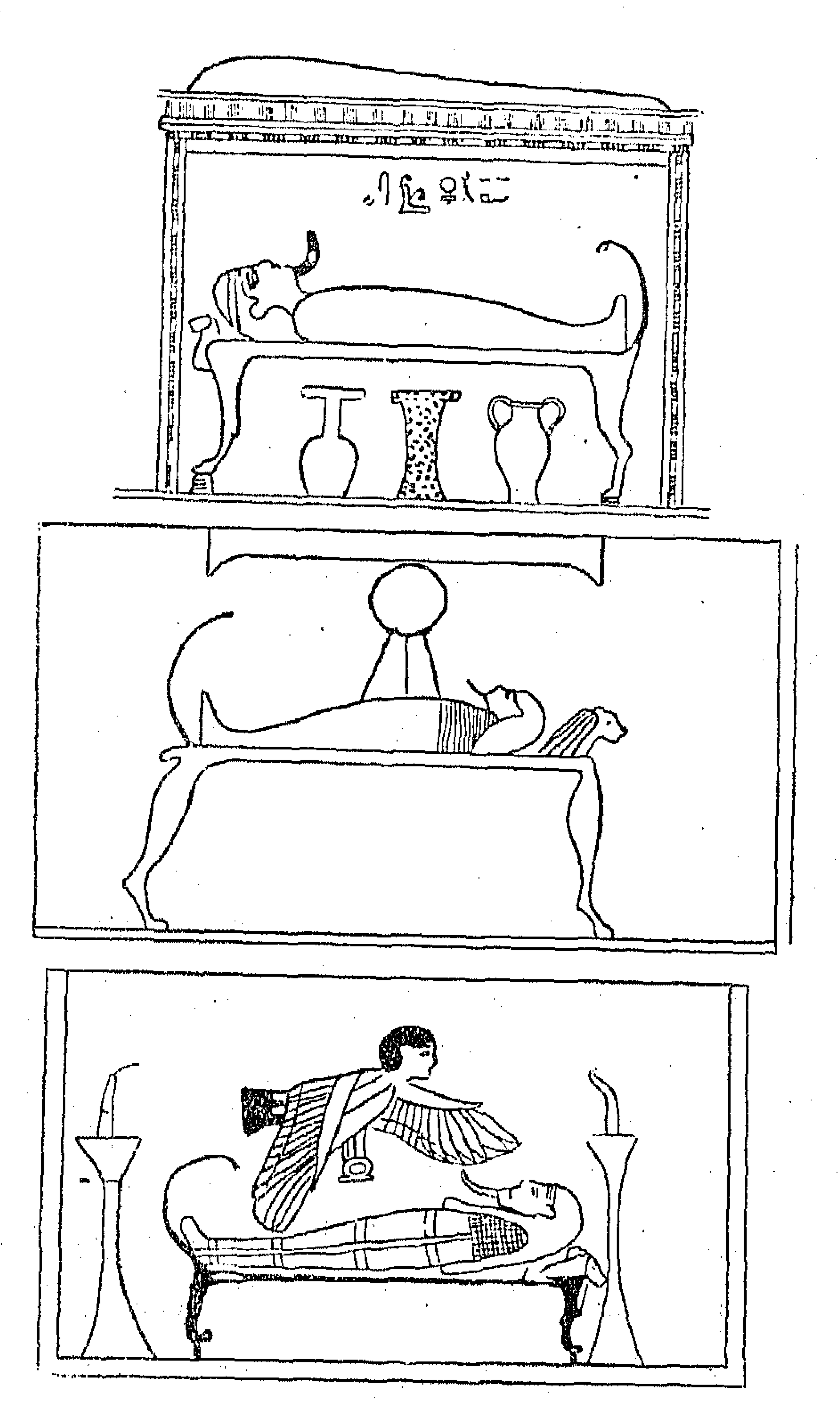
ولما أن استؤنست الحيوانات وفطن الانسان الى أن لبن البقرة يغذى الرواضع من الاطفال أوحى اليهم أن البقرة من عشيرة الانسان ووليجته تأسى لحزنه وتغتبط بسروره فتشاركه فى الافراح وتشاطره الاتراح وتصافيه فى السر والجهر وتصاحبه فى الحياة وفى الممات كأم رءووم ترضعه لبنا سائغا فيه شفاء للناس فاطلعوا عليها الأم الالهية حاتور التى ظلت البقرة رمزاً لها ردحا كبيرا من الزمان (منذ ستين قرنا خلت من وقتنا هذا)

ولأن تلك الأم الالهية الكبرى قد تطورت وفاقا لتطور العادات وتقدم البدع فتمثلت أولا فى القوقعه ثم فى حبة الشعير ثم فى البقره قد مثلها قدماء المصريين كذلك بالقمر الذى اعتقدوا أنه يهب الحياة والقوة للنساء ومن ثم اعتقدوا أنه ما دام الههم محيي الموتى ومانح الازلية ممثلا فى القمر والبقرة صار من السهل حمل الميت الى السموات العلا حتى قالوا فى آياتهم الوثنيــة « ان البقرة وثبت على القمر » ومما يدل على ان البقره مصوره على الاريكة التى تمثل السماء وجود النجوم فى الجهة السفلى منها كما ان ارتفاع الاريكة أيضا يدل على علو السماء وفى كل عصور التاريخ المصرى القديم ترى النقاشين والكتاب قد أشربوا فى قلوبهم حب تصوير الملك المتوفى فى رحيله على متن البقرة الى السماء وهذه العقيدة ممثلة ومصورة على النعش الذى بحياط قبر سيتى الأول المشار اليه من قبل

ولقد جرت العادة فى العصور الاخيرة من تاريخ قدماء المصريين ان يمثلوا البقرة الألهية (او لبؤتها التى تنوب عنها) حاملة الميت او تمثاله الى السماء ولهذا السبب تجد صورا ممثلة لتلك الشعائر مرسومة على الارائك التى تحمل الرفات الى السماء كما رأينا ذلك فى قبر توت ـ عنخ ـ آمون وان الغرض من وضع الارائك على صورة الابقار او السباع هو الوصول بالوسائل السحرية الى رفع الميت الى السماء .

وان قصة «هلاك البشر» التى ذكرناها آنفاً تشف عن هذه الشعائر. وان أثر هذه العقيدة وهو تمثيل « المركبة الحيوانية الربانية » قد فشا فى

سائر أنحاء المعمورة فى العصر التاريخية الأولى لانه اذا استطاع ذلك الحيوان الاعجم ان ينقل المتوفى الى السماء ويسبغ عليـه نعمة الخلود التى كانت من



(شكل ١٩) ثلاث أرائك أسدية تحمل الموتى الى الدار الاخري
وعليها سمات إله الشمس والاخيرة منها على شكل طائر
ينفث فى الميت روح الخلود

صفات الآلهة صار رمزاً اذن للآلهة وسمة من سماتها التى مازتها عن البشر.
وان تمثيل الام الالهية بالبقرة كان مبدأ نظام اجتماعى كبير سمى بالنظام اللاهوتى كما ان تمثيل تلك الام عينها باللبؤة صار كذلك سمة على الاله كما نرى ذلك فى قبر سيتى الأول ولما دعيت الربه المذكورة لانعاش الملك المسن لم تجد بين عقاقيرها سوى دم البشر وبذلك اضطرت الى ذبح الانسان وصار عملها هذا ممثلا فى اللبؤة هذا ولأن اللبؤة صارت المثل الأعلى للأم الالهية ذات القوة والبطش والمقدرة على حفظ الميت من المخاوف التى تعترضه أثناء رحيله من الدار الفانية الى الدار الباقية صارت بذلك مثلا أسمى لمركبة الموتى وفضلت على البقرة. وفى كل الحالات ترى فى صور أرائك الموتى اللبؤة أكثر تمثيلا من البقرة. ولم يزل الليث فى العصور الحديثة عنوان البطش والصول. ولربما وجدنا فى تمثيل الاسد بالقوة مغزى آخر. كما نرى ذلك فى النسيج الموشى الذى وجد فى قبر الملك توت ـ عنخ ـ آمون اذ نجد الملك المذكور ممثلا فى شكل هزبر رأسه رأس انسان وهو يطأ بقدميه أعداءه الذين اذل رقابهم وأباد خضراءهم. وكذلك نرى هذا الرسم ممثلا فى قبور أسلافه مثل تحتمس الرابع: ولم نزل هذه العقيدة وهي تمثيل الملك بالأسد متأصلة فى العصور القديمة منذ الاسرة الرابعة حيث نرى أبا الهول مثلا عظيما لذلك. ويزعم بعض المؤرخين أنه يمثل الملك منقرع (٢٨٠٠ ق. م) ولكن هذا الزعم يحتاج الى اثبات والمعروف عن هذا الاثر الخالد انه رمز للقوة العقلية والجسمانية ولا يعلم صانعه أو الغرض الذى وضع لأجله وقد أوضحنا ذلك فى كتاب آخر « العجالة الوجيزة فى أهرام الجيزة » فعلى القارىء تصفحه وإن تمثيل الملك هذا بالأسد الذى ينطبق على هوراس له صلة ببحوث أخرى وعقائد راسخة ولو انه فى زمن الملك توت عنخ آمون بل فى تاريخ مصر كله زمن الاسرات القديمة كان إله الشمس معدوداً ذا سلطان عظيم على سائر أنحاء الدولة المصرية فأن هوراس نفسه كان علما

على هذا الاله وان الميزة التى كانت له كحام الموتى كانت متأصلة فى العقائد الاوزورية (نسبة الى أوزوريس) القديمة ولقد كان الملك هوراس الحى القيوم هو الفرد الاحد الذى كان مسؤولا عن رعاية الملك المتوفى (أوزوريس) ولقد كانت العقيدة السائدة وقتئذ فى دوام حياة الاله الملك المتوفى (أوزوريس) مبنية على الصلوات التى يقيمها هوراس وعلى ذلك يكون هوراس هو مسبغ نعمة الخلود والابدية على أوزوريس وكذلك كان يسبغها على الملك توت ـ عنخ ـ آمون الذى كان ممثلا فى أوزوريس وبذلك كانت العقيدة فى حمل الملك على الاريكة الاسدية تدل على تسليمه ليدى هوراس

كل ابن أنثى وان طالت اقامته   يوماً على آلة حدباء محمول

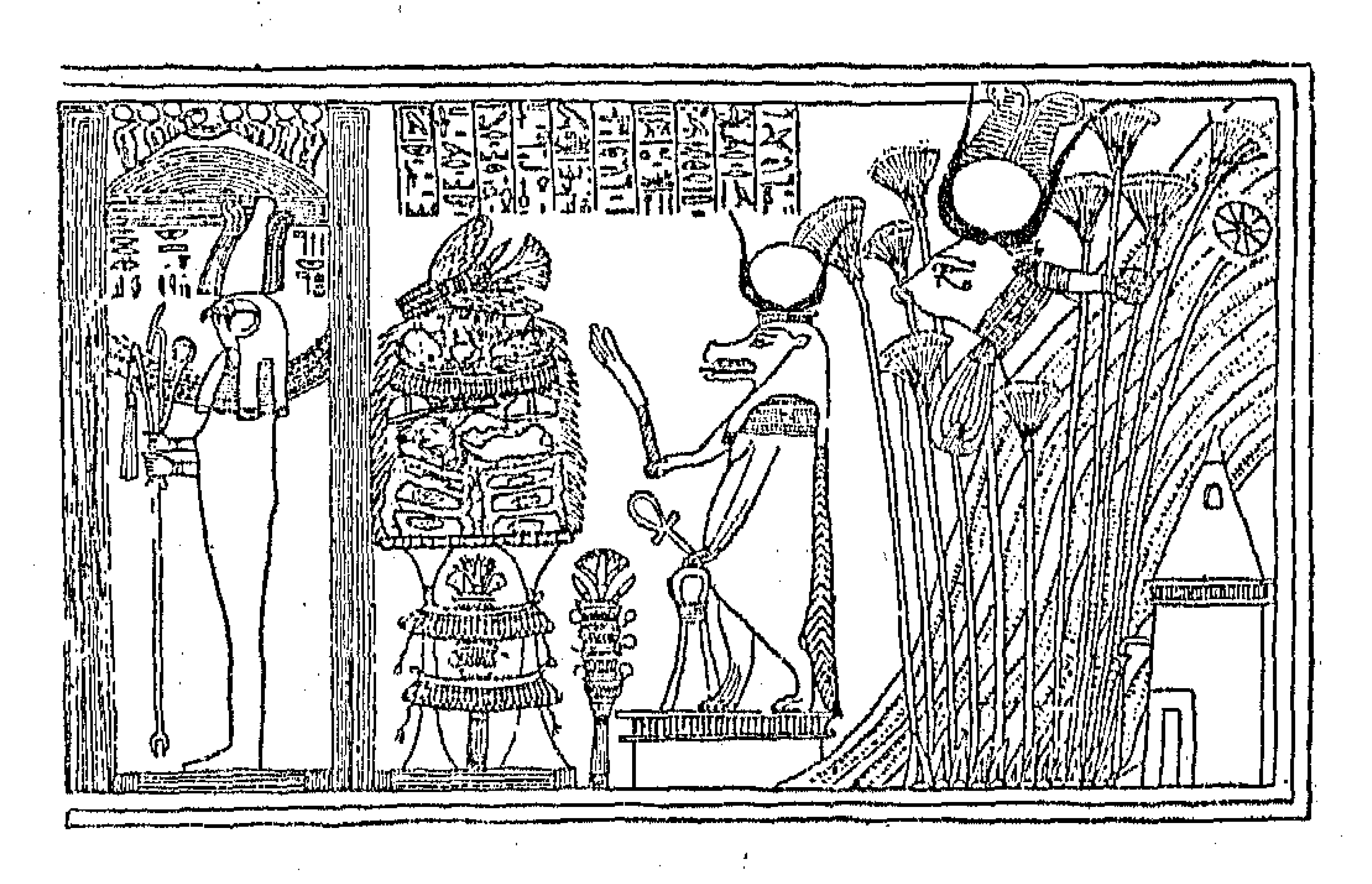
ولم يكن هوراس هذا الممثل على الفُرش التى فى قبر توت ـ عنخ آمون هو الذى يمثل الملك وهو يطأ باقدامه أعداءه ولكنه كان الممثل فى ابن أوزوريس الذى بيده المن والعطاء وهو الذى يمنح الملك المتوفى النعم التى يستحقها جزاء ما منح أوزوريس الحياة الابدية والخلود والنجاة

وان الخلاف بين هذين النوعين لهوراس ظاهر فى صورة جلية كشفها حديثا الاستاذ جورج ـ ا ـ رزنر (وهى التى مثلتها جريدة لندن المصورة فى ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ صفحة ٢٠٤) وكانت منقوشة على تمثال فى السودان أقيم بعد موت الملك توت ـ عنخ ـ آمون بعدة قرون

ونرى فى تلك الصورة الاريكة الاسديه ممثلة وهى حاملة النعش للملك ارجاميز الذى تجد رأسه على شكل نسر لهوراس وفوق النعش تجد السماء ذات البروج وتحتها قرص الشمس يخرج منه الخمسة الاشعة التى تبعث الحياة للميت وفى أحد أبواب كتاب الموتى هذه العبارة « وبذلك يتقلد الانسان شكل النسر المقدس » ونرى الميت محمولا وهو يقول « انى أظهر الآن بمظهر النسر المقدس الذى ينفث فيه هوراس روحه لتستمد ذريته روحها من أوزوريس »

ولربما كان الغرض الاساسى من ذلك هو أن الاريكة الاسديه كانت رمزاً على الاريكه البقرية وكان الغرض منها بلا مشاحة رفع الميت الى السماء ليتحد مع الشمس ويندمج فى إله الشمس رع فاذا كان الامر كذلك كانت الاشعة الخمسة (التى هى على شكل خمسه V من الحروف الرومانيه) المنبعثة من قرص الشمس تدل على أن الشمس كانت تجذب بقوتها نحو السماء رفات الميت الممثل فى هوراس

ولقد أوضح الدكتور الن جاردنر فى رسالته عن قبر امنحتب صورة منظمة تشتمل على آيات هيروغليفيه مقدسة مرسومة فى شكل النجوم فوق نعش الميت المحمول على الاريكة الاسديه وترجمها بأنها تعبر عن غاية الميت فى العروج إلى السماء والاقامة بين هاتيك النجوم والاقمار وترى أمثال هذه الصور واضحة فى كتاب الموتى إذ ترى النعش مصورا على شكل أسد بينما ترى أشكال البقرة المقدسة وفرس البحر قليلة الوجود وترى عادة فى صور المناحات والجنازات الرفات محمولا على الاريكة الاسدية الموضوعه داخل النعش كما ترى ذلك فى الصورة الاولى المأخوذة من كتاب الموتى ولقد ترى



(شكل ٢٠)

مانحات الألوهية الثلاث : البقرة وفرس البحر وهوراس

أمثلة ذات قيمة كهذه فى كتاب الدكتور الن جاردنر الآنف الذكر وكتاب السيده جارين دافيز فى قبر امنحتب المطبوع عام سنة ١٩١٥ م فى الشكل الثاني عشر والشكل الرابع والعشرين التابع لتحتمس الثالث الذى ولى العرش قبل توت ـ عنخ ـ آمون بقرن

ولا مراء فى أن ذلك يرجع بعضه إلى الاهمية التاريخية لهوراس الذى كان حاميا لأوزوريس وأيضا لاهمية الاله المذكور فى نصرته على أعادى رع حيث كان أعظم حام يذود عن الموتى

ولكنّ فى تمثيل الاسد على هذا النحو فكرتين أساسيتين وراءهما معنى كبير ومغزى عظيم ففى فكرة هلاك البشر القديمة التى أشرنا اليها سابقا وهى التى فى قبور خلفاء توت عنخ آمون نجد أن الربة حاتور « البقرة السماوية » ممثلة وهى تضحى ببنى الانسان لكى تحصل على الدم الذى يعيد شباب الملك المسن وذلك فى حكاية « رع الذى يمثل الملك الارضى الذى لم يعرج إلى السماء على ظهر البقرة حتى يصير مع إله الشمس » ومن ثم اشتهرت البقرة بهذه الشهرة وهى أنها ذابحة الجنس البشرى فتمثلت بلبوءة وسميت باسم « سخمت » ومعناها المهلكة أو المبيده وبذلك تمثلت الربة الالهية العظيمه حاتور فى شخص البقرة واللبوءة . ولكن فى تطور فكرة الربة فى هلاك البشر ترى أن الاله هوراس يقوم مقام أمه حاتور كما يقوم العجل والاسد مقام البقرة واللبؤة . وفى فكرة الاريكة المناحيه أو أريكة الجنازه ترى البقرة حاتور بجانب أسد هوراس . ولقد نجد الانسان أحيانا فى مقابر العصور المتأخرة الرفات ممثلا وهو محمول على عجل بدل البقرة وهو صاعد إلى السموات العلى وترى مثلا عظيما لهذا فى دار العاديات بادنبرج عاصمة اسكتلنده

وان الاريكة الثالثة هى التى على شكل فرس البحر البديع المسماة تويرت وهى المثال الآخر لحاتور . ولكن عملها قاصر على أن تكون مولدة للآلهة والملوك وتراها فى الصور ممثلة عادة مع البقرة الالهيه حاتور

على باب القبر وربما كان عملها أن ترأس حفلة احياء الملك المتوفى التى فيها يسبغ على الملك حياة أخرى سعيدة فاذا كنا نعد أريكة فرس البحر ممثلة فى حفلة احياء الملك فلا يعزب عن افكارنا ذلك الفناء العظيم الذى بالدير البحرى حيث ترى فيه الارائك الاسدية ممثلة فى ميلاد الملكة حتشبسوت وذلك ينطبق على ما بيناه فى تمثيل الحيوانات الثلاثة وهى البقرة واللبؤة وفرس البحر بالربة حاتور وان العادة المصرية فى جعل تلك المركبات الحيوانية الثلاثة تمثل انتقال الميت الى السموات العلى وتمنحه السعادة الابدية والخلود مازالت تدهش الافئدة وتذهل الالباب فى سائر العالم العامر وسنذكر ثلاثة أمثلة لهذا الاثر الخالد

لقد كانت العقيدة فى تمثيل الميت وهو ممتط الاريكة الحيوانية هى صيرورته إلها ومن ثم انتشرت هذه العقيدة فى الشام والعراق واليونان والهند وفى سائر انحاء العالم التى وجدت فيها هذه المدنية مرعى خصبا وكنفا سهلا اذ نجد تلك الآلهة والربات ممثلة على الارائك الحيوانية مثل العجل والبقرة والاسد واللبؤة او ما شاكلها من الحيوانات الاخرى الهائلة . كما أن عقيدة المركبات الالهية التى لعبت دورا عظيما فى تاريخ الهندوآسيا الشرقية وامريقا الوسطى هى عقيدة مصرية بحته اذ تراها ممثلة فى ارائك الموتى التى فى قبر توت ـ عنخ ـ آمون وهى لا تقل عن النماذج التى فى آسيا وامريقا

الفكرة الثانية لهذه الارائك هى العقيدة بأن وضع الجثة او الرفات فى منصة مرتفعة ذو تأثير سحرى فى نقل الميت الى السماء فلا مشاحة اذن أن مقاعد القبر المرتفعة كالتى فى قبر توت ـ عنخ ـ آمون مطابقة لهذه العقيدة

الفكرة الثالثة التى نشأت من هذه العقيدة هى انتشار صناعة الاثاث والرياش فى اوروبا حتى اصبحت تحاكى الصناعات المصرية القديمة من حيث تمثيل الارائك والكراسى والنمارق والزرابى بالاشكال المصرية امثلة

فى مصر فقد بدأت هذه الصناعة من عهد ٣٤٠٠ سنة قبل الميلاد ـ ومن ثم يتضح لنا أن هذه الارائك قد أماطت اللثام عن سلسلة من الرموز كل له شكل خاص حتى يتعذر على الانسان فحصها وتمحيصها ليردها الى مصدرها الاصلى ومنحاها التاريخى ولا يسعنا الا ان نقول انها تمثلت فى الثلاثة الاشكال المذكورة آنفا وبعثت على أحياء صناعات جليلة وفنون جميلة « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »

وادى الملوك



(شكل ٢١) وادى الملوك

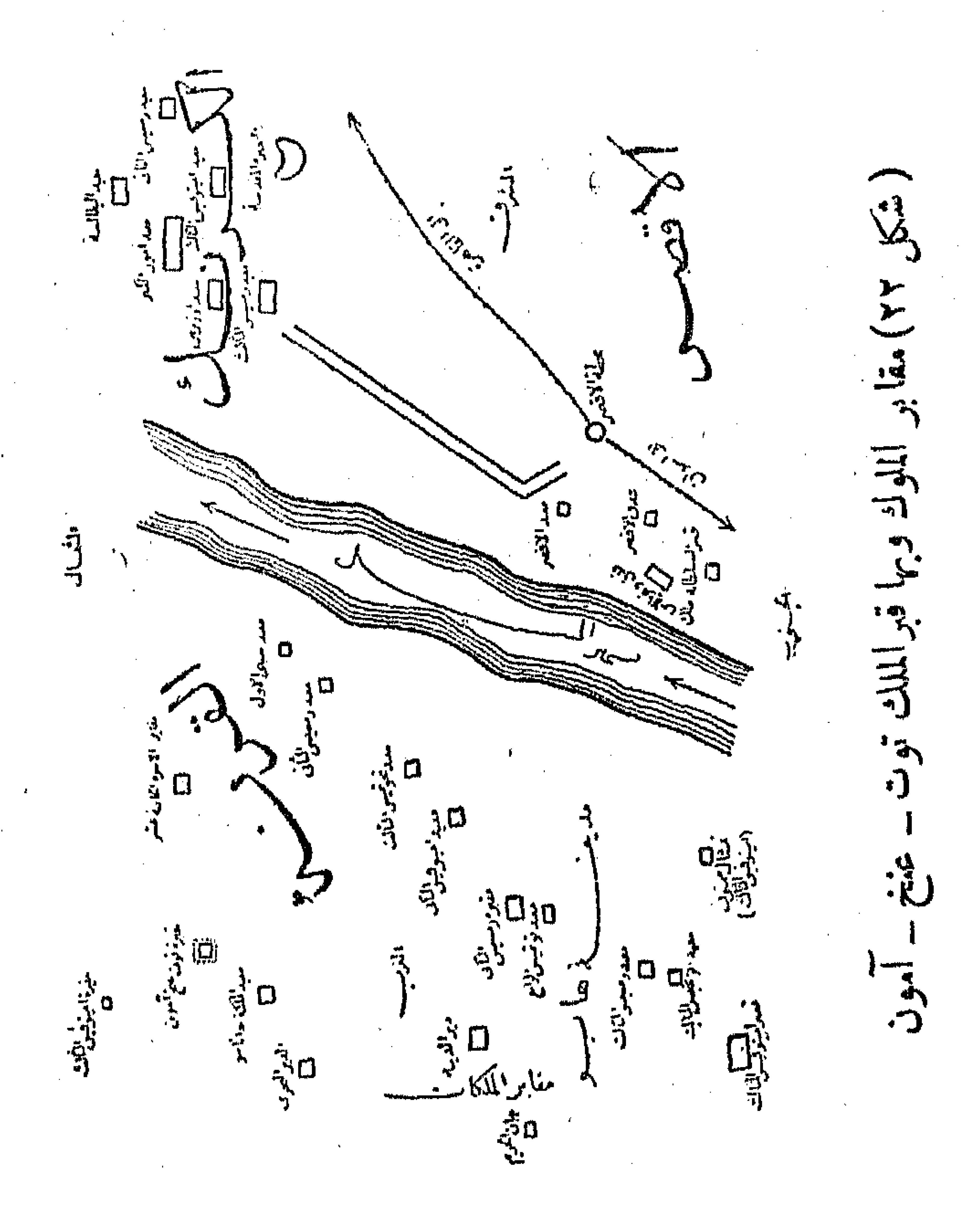
لقد كان عام ١٥٠٠ ق. م هو العام الذى اصطفى فيه الملك تحتمس الاول ذلك الاخدود الجميل والوادى العظيم ليكون مثوى له ولاحفاده بعد وفاته فأن سلفه امنحتب الاول قد ادرك الغرض من بناء المعبد مصاقبا للضريح لان المعبد لم يكن سوى بهو فسيح مكمل للحجرات التى بداخل المقبرة ليقيم فيه آل الميت وعترته يقربون له القربان ويضحون فيه بالأضاحى ويطعمون الطعام على حب ساكنه ويشربون فيه نخب الميت لبقاء حياته ودوام جثمانه . وفى ذلك الصرح الجليل الذى كان يقام بجوار القبر كانت تولم الولائم وتؤدب المآدب من آن لآخر لانعاش الميت (أو انعاش تمثاله) حتى يستمتع بالطعام والشراب ويشارك أهله وعشيرته فى مآدبهم ويساهمهم ولائمهم وملاذهم . ولكن الغرض الاسمى لاقامة هذه الشعائر هو منح الميت الحياة وغمره بنعمة الحياة الدنيا (وما الحياه الدنيا الامتاع الغرور) وبذلك يتحققون بقاءه حيا دائما أبدا لايموت ولايفنى

وعلى مر الدهور وكر العصور تقدمت هـذه الشعائر التى كانت تقام لاحياء الموتى حتى تحولت حجرة الصحيا معبدا رفيع العمد باذخ البنيان كما تطور الغرض المقصود من أحياء هده الشعائر لانه بدل أن كانت الغاية منها أمداد الميت بالطعام والشراب واكسير الحياه صارت جزءا لايتجزأ من الشعائر الدينية والعبادة الوثنية .

ولما تم لهم ذلك اتسعت مسافة الخلف بين المعبد والقبر ولم تعد الصلة بينهما قوية كما كانت من قبل اذ كان الغرض من أهلها احياء الميت او ما يماثله من التماثيل . ولقد لبثت الحال على ذلك حتى نهاية القرن السادس عشر قبل الميلاد (اذ قيل ان تحتمس مات عام ١٥٠١ ق م) مد طفق الملك يعمل على اقامة قبر له بعيد جداً عن معبده . وان انفصال المعبد هذا عن القبر كان ذا تأثير عظيم فى ماهية الاول اذ مهد الطريق للفكرة المستحدثة فى اقامة دار للعبادة . ولم تزل هده العقيدة القديمة منتشرة فى أوروبا وهى الصلة بين الكنيسة وفنائها المجاور لها أو المقبرة وكذلك فى الشرق اذ تجد كثيراً

من الأضرحة مجاورا للبيع او للجوامع الصغيرة كما ان الكنائس المصرية العتيقة كالتى بمصر القديمة مجاورة للمقابر وان فكرة تحتمس الأول فى اعداد مقابر الملوك فى وادى الملوك اووادى طيبة المشهور قد ظلت من عهد ١٤٠٠ ق م حتى نهاية الاسرة العشرين أى حوالى عام ١٠٩٠ ق م

وأن امنحتب الثالث الذي دفن عام١٣٧٥ ق م قد خالف سنة أسلافه الذين دفنوا فى الوادى الشرقى اذ أقام له قبراً فى الوادى الغربى كما ان ابنه المشهور وخلفه امنحتب الرابع الملقب باخناتون كان أول من ابتدع هذه البدعة وهى اقامة قبرله فى قصبة ملكه الجديدة وهى «مدينة الافق» لأتون القائمة على أطلالها الآن مدينة « تل العمارنه » ولقد كان قبره هذا



(شكل ٣٢) مقابر الملوك وربما قبر الملك توت – عنخ – آمون

كهفاً فى الجبال التى على مسيرة سبعة أميال شرقى مدينته الحديثة

وقد بناه أخناتون وسطا بين طيبة ومنفيس حاضرتى الوجه القبلى والبحرى وهناك ثوى هذا الملك فى ضريحه المنحوت من الحجر الصوانى الصلد الذى لعبت به يد البلى وعبثت به صروف الدهر فخلفته هشيما على وجه الأرض ولكن زوج ابنته توت ـ عنخ ـ آمون رأى عند رجوعه الى الديانة القديمة بطيبة ان ينقل جثة والد زوجته من « مدينة الافق» المذكورة آنفا الى جبَّان طيبة حيث أقام له هذا الاثر الخالد فى وادى الملوك الذى كشفه عام ١٩٠٧ المستر أرثر ويجول الذى كان مفتشاً للآثار المصرية بالوجه القبلى وكان قائما بأعمال الحفر التى كانت تحت أمرة المستر ثيودور دافيز كما بينا .

أما جثمان سمنخارا خلف أخناتون فلم يظهر له أثر وأعقب سمنخارا توت ـ عنخ ـ آمون . ولقد أثبت المستر هوارد كارتر فى كشفه الحديث أن هذا الملك الاخير قد نزع الى الديانة القديمة ولاثبات ذلك أقام قبره فى الوادى الشرقى حول عبّاد آمون اما خلفه آى فقد أقام له ضريحا فى الوادى الغربى لاسباب مجهولة . وهنالك ثوى توت عنخ آمون فى ضريحه فى كنف الملك أمنحتب الثالث الذى كان آى المذكور وزيراً له طول حياته وقيل أن هذا الملك « أمنحتب » كان أباً او مربياً لنيفرتيتى زوجة أخناتون .

وحتى كشف قبر توت عنخ آمون بالوادي الشرقى كان السير جستون مسبيرو الأثرى العظيم يعتقد هو واشياعه أن قبر الملك المذكور بالوادى الغربى وحتى هذا العصر الذى كشف فيه قبر الملك المذكور كان قبر آى أقدم قبر ملكى كشف فى العصور الحديثة بعد امنحتب الثالث . ولأن تلك القبور كانت دفينة فى الوادى الغربى ظن المؤرخون أن قبر توت عنخ آمون سلف آى لابد أن يكون دفينا فى ذاك الوادى أيضاً ولكن اتضح أن هذا الملك لما أقام القبر الثانى لاخناتون فى الوادى

الذى جيء به من هرم منقريوس والذى زعموا أنه هيكل ذلك الفرعون المشهور .

أما الكشف الذى ظهر فى عام ١٨٨١ م والنقيب الذى تم فى وادى الملوك فى العشر سنوات التى خلت من ١٨٩٨ الى ١٩٠٨م. هما اللذان أماطا اللثام عن الجثث الحقيقيـة التابعة للاسرة الملكية ولو انه قد عثر البحاثه دى مرجان على هياكل أقدم عهداً من هذه الأسرة الملكية في اهرام دهشور وذلك منذ ثلاثين سنة خلت من وقتنا هذا . وقبل كشف هذه الجثث المحنطة لهؤلاء الفراعنة بزمن مديد قد مثلت لنا تماثيلهم ودماهم أشكالهم أمام أعيننا كما مثلت لنا رسومهـم وخطوطهم على تلك التماثيـل أعمالهم ومآثرهم أما القبور المنبوشة التى للاسرة الثامنة عشرة فقد كشفت وأمّها الزائرون من عهد اليونان ومن تبعهم من الدول الاخرى التى أغارت على مصر وفوق ذلك نجد أنه قبل كشف هذه الجثث بعشرين سنة قـد عرض تجار العاديات والتحف عدة أوراق من البردى تؤيد انتهاك حرمة تلك القبور الطيبية العظيمة

الثورة الدينية فى عهد اخناتون

لم يكن ثمة أمة فى الوجود في عوز الى حاكم قدير وولى بصير عندوفاة الملك امنحتب الثالث كالامة المصرية وقد اتفق أن كانت محكومة فى تلك المحنة الشديدة بشاب ذى مطامع خيالية ولقدكان على الرغم من مطامعه الخيالية غير كفى لهذا المنصب الخطير الذي يتطلب حاكما قوى الشكيمه وجنديا عالى الهمه فأن النزاع القائم وقتئذ بين الافكار المتشعبه والبدع الموروثة قد خلّفه له ابوه بعد وفاته وكان همه الاكبر توحيد تلك الشعب المتباينة والافكار المتشعبة فى مبدأ واحد ومنهاج مستقر وفى الوقت عينه كان واجبه يقضى عليه بالمحافظة على التقاليد القديمه خشية أن يهوى فى هاوية كبيرة أومصيبه

الشرقى أنشأ قبراً لنفسه فى هذا الوادى نفسه و ذلك انتحال السنة القديمة التى سار عليها خلفاؤه نحو قرن و نصف قرن خلا خلفه آى وأن هذا الاخدود الصخرى العظيم يسمى بأبواب الملوك من قديم الزمان وقد اهتدى السياح الى هذا النقيع الملكي العظيم من قديم كما ارتاع اليونان والرومان من قبل عند رؤية هذا الخانق أو الاخدود الملكى العظيم وقد ذكر استرابون بأنه رأى أربعين قبراً من هذه القبور ولكن لم يعلم من تاريخنا أكان قد اهتدى الى قبور الوادى الغربى ومقابر الملكات أم لا .

وقد احتفل السائح بلزونى بفتح قبر سيتى الاول فى التنقيب الحديث الذى قام به عام ١٨١٩ م ووصف الصور التى بالحيطان قبل أن تمتد إليها يد البلى وتعبث بها صروف الحدثان وهو الذى أرسل الى لندن الناووس المرمرى البديع الذى كان لهذا الملك والذى وضع الآن فى متحف السيرجون سون فى « لنكان ان فيلدس » بانجلترة

وان عام ١٨٨١ م هو ذلك العام المشهور بكشف الجثث الملكية وبعد مضى خمس سنوات من هذا التاريخ أى لما أزيل الغشاء الذى على تلك الجثث مثل جثة سيتى الاول ورمسيس الثانى فتن الناس فتون الكلف الهيمان بهؤلاء الفراعنة الشداد الذين عاشوا فى العصر الخوالى ورن صداهم فى الخافقين وذاع صيتهم فى السماكين منذ ثلاثين الف سنة خلت — وقد دون كشف هذه القبور الملكيه فى مواقيت متعددة ولكن على أى حال اختلف المؤرخون فى تبعية تلك القبور لهؤلاء الملوك اذ ظهر أن بعضها قبور منشأة لاناس مجهولين تابعين لعصور متأخرة عن العصور التى عاش فيها أولئك الملوك المصريون . وترى أمثلة لهذا الريب فى الجثه المحنطة التابعة للاسرة الثامنة عشرة الموجودة بدار العاديات المصرية والتى عثر عليها الباحثون فى هرم سقاره وقدزعموا أنها جثة ابن الملك ببى احد امراء الأسرة السادسة . وكذلك الهيكل العظمى الذى بدار العاديات البريطانية



(شكل ٢٣) اخناتون

جليلة تلك هى المسألة السياسية العويصة التى بده بها اخناتون وقت اعتلائه عرش المملكه . وكانت أمه تى وزوجته نيفرتيتى التى ربما كانت من أصل أسيوى واليفه القسيس آى زوج مرضعته هى حاشيته ووليجته الادنون وكان الاليفان الاولان لهما نصيبان كبيران فى الحكم معه وكان كعادة والده أو أشد يظهر بين الملأ من شعبه مع زوجته ووالدته وكانت هاتان السيدتان الضعيفتان ركنيه اللذين اليهما يركن وعماديه اللذين عليهما يعتمد وعضويه اللتين عليهما يتكىء فى بدوه وحضره وحله وترحاله وسره وعلانيته وسرائه

وضرائه وقد افضت صحبته لها والهيام بهما أنه لم يقو على جمع شمله ولم شعثه فى (تحارم) بل أنه قصر همه وجعل نصبه قاصرا على الفلسفة الدينية التى ورثها عن الكهنة وآثرها على املاكه الاسيويه وبهذه التقاليد الدينية والبدع الفلسفيه أمكنه أن يبتدع آراء جديدة صيرته اشهر الفراعنه وأول رسول فى الجاهلية الأولى .

ولم يكن نفوذ الحاكم المصرى وقتئذ قاصراً على رفع الحيـاة العملية أو العادات القومية والاخلاق الاجتماعية أو نرقية الصناعات الفنية فحسب بل تعدى ذلك الى أفكار القوم وآرائهم الفلسفية حتى أنه قبل الفتوحات الاسيويه قد عنيت القساوسة بتفسير كنه الالهة وقد بلغت بذلك مصر درجة لم يبلغها غير اليونان من حيث ادخال الفلسفة الالهية وأضحى تفسير كنه الالهة بترهات وأقاصيص خيالية أمرا مشاعا من ذلك أن صار (بتاح) علما على مبدع منفيس وقد كان من عهد بعيد إله البنّاء والصانع الذي كان يمدهما بالافكار ويوحى اليهما بآرائه فى الصناعات والفنون ولقد كان هذا الملك يعبد (بتاح) ويذكره بالغدو والآصال والعشى والابكار لانه كان مشغوفا بالترهات ولوعا بالخزعبلات فاتسعت بذلك مداركه الدينية وآراؤه الفلسفية وأخذ ينظر إلى العالم نظر المبصر الدقيق

وان المصانع التى أقيمت لمعبد منفيس والتى كانت تحت إمرة (بتاح) رب المدينـة وسيدها قد صنع فيها التماثيل الجميلة ومعدات العبادة والأضاحى الجليلة لذاك المعبد الرائع حتى أصبحت تلك المدينة كأنما هى العالم بأمره وكان(بتاح) رب هذا البيت وسيده وكما أنه كان يهيء للعامل نماذجه ويمده بآرائه كذلك كان يوحى إلى العمال بعملهم ويبث فيهم روحه فبذلك صار علما على العقل الاسمى الذى تستمد منه الكائنات الحية عقولها وغرائزها حتى أنه فى ذاك العهد لم يكن ثمة شغل للعالم سوى تمثيل الرجال والآلهة . وكانت أفكار اخناتون كما كانت أراؤه فى فنى البناء والصناعات لاتحتاج إلا الى ابرازها من عالم الخيال الى عالم الحقيقة والتدوين

وقد انتشرت أمثال تلك العقائد فى سائر أنحاء المملكة المصرية ولكن كان عمل الاله فى زعمهم قاصراً على حدود المملكة الفرعونية ومنذ الاجيال البائدة والأزمنة الواغلة فى القدم كان فرعون هذا وارث الآلهة فى حكم الوجهين القبلى والبحرى اللذين كانا يحكمهما الآلهة المصرية وبذلك لم يتعد سلطانه الحدود المصرية . ولكن فى عهد الامبراطورية المصرية قد تغيرت الحال فصار الاله ينشر نفوذه كلما سار سيف الفرعون وكان امتداد نفوذ الفرعون فى الشام والنوبة دليلا على بسط سلطان الاله ونشر نفوذه فى تلك الاصقاع وبذلك صار الملك والقسيس صنوين متصافيين وإلفين متآلفين وأصبح العالم رهن إشارتهما وتحت امرتهما —

وان النظرية الالهية المفروضة فى الحكومات وقتئذ هى أن الملك يملك العالم ليسلمه الى الاله لذلك كان الملك أو الفرعون يعبد الاله ويسبح بحمده فى الغدو والاصال والعشى والابكار ويسأله النصر العزيز والفتح المبين . ولا مشاحة فى أن فكرة اله العالمين فى العالم قد تولدت من مصر حينما كان الملك يجبى الضرائب والاتاوات من سائر أنحاء الدنيا القديمة فى ذاك العهد ومن ثم تجلت قوة الفرعون الالهية لان العقيدة المنتشرة وقتئذ هى أن الالهة عدت ملوكا وحكاما على سائر وادى النيل ولما كان كل اله يلقب بأله الولاية التى يحكمها وعلى الاخص آمون فان الالهة المصرية لم تلقب آلهة لسائر أنحاء الدولة المصرية . ولم يستثن من هذه القاعدة سوى كهنوت هليوبوليس الذى كسب الشرف الاسمى والصيت الاعلى لأنه رع المبجل اله الشمس الذى اشتهر فى سائر أنحاء المملكة .

وقد كان فى عهد أمنحتب الثالث عَلَم قديم على الشمس يسمى آتون الذى أصبح علما على إله الشمس وصار إله الشمس هذا الاله الوحيد فى عهد أمنحتب المذكور ومعاصريه وفى عهد أمنحتب الرابع صار هذا الاله الاله الاكبر وصار يعبد فى جميع أنحاء المملكة اذ كان هذا الملك أول من عبده . والناس على دين ملوكهم . ولم يكن هذا الاله هو اله الشمس فى

عهده فحسب بل صار علماً على الاله الاعظم الذى امتاز عن إله الشمس المادى وقد أضيف على اسمه هذه العبارة « الحرارة الممثلة فى إله الشمس أتون » وكان يسمى ايضا « رب الشمس اتون » وبذلك صار الملك المذكور يعبد الحرارة المعنويه التى هى ضروريه للحياة ومن ثم اضحى الاله المذكور فى عقيدتهم حياً دائماً ابداً شاعراً بما حوله بوساطة اشعته التى ينشرها فى الكائنات ولم يكن هذا الملك وقتئذ أقل منزلة من اليونان الاقدمين فى مزاعمهم وعقائدهم فى المادة والطبيعه . وأن الرمز الظاهرى لهذا الاله هو قرص فى السماء يرسل إلى الارض عدة اشعة تنتهى بايد تقبض كل واحدة منها على الحياة وكانت هذه العقيده منتشرة فى الولايات المختلفة التابعة للدولة المصريه حتى إن الانسان اذا نظر اليها من أول وهلة عرفها

ولما لم يستطع هذا الاله الجديد أن يظل بغير معبد يعبد فيه أقام له هذا الملك معبداً فاخراً سماه « جم أتون » بين الكرنك والاقصر فى اقليم خاص يسمى « عظمة أتون الاعظم » ومع أن الملوك كانت حرة فى عبادة الآلهة التى تصطفيها فأن كهنوت آمون قد حقد على هذا الاله الذى ظهر وتجلى بهذا الظهور المدهش ولكن كهنوت آمون كان عزيزاً قوياً ففوق انه الرائد الاكبر للنظام المتبع كان رئيس قساوسته الوزير الاول للملوك فهو الذى يدير سكان السفينة السياسية ويسوس الدولة المصريه وهؤلاء الكهنة هم الذين نصبوا تحتمس الثالث ولو شاءوا لاقاموا مقام هذا الملك المغرور الذى تولى العرش ملكا من قبلهم من أول الامر ولكن على الرغم من كرامة أصله وزكى منبته كان امنحتب الرابع ذا نفوذ شخصى عظيم وكان يعززه فى مناوأته لآمون كهنه منفيس الشمالية وكهنة هليوبوليس الذين كانوا حاقدين على اله طيبه القديم الذى اصبح لاحول له ولا قوة والذى لم يسمع عنه سكان الشمال شيئا قبل ظهور الدولة الوسطى . فاعقب ذلك ثورة دينية كبيرة انتهت بالقضاء على كهنة آمون فاستشاط الملك الحديث غيظا من سائر الكهنة ومن بينهم كهنة آمون وامر باغلاق المعابد طرا فى سائر انحاء المملكة ومحا

اسماء الآلهة من جميع الآثار والدُّمى حتى أن كلمة اله لم يسمح بسماعها أو رؤيتها البتة كما انه امر بفحص حيطان معابد طيبة ومحا كلمة اله منها وكان اضل من ذلك سبيلا تغيير لقب امنحتب الذى ورثه عن والده لانه يشمل كلمة آمن او آمون بمحو هذه الكلمة منه اذ أمر بحذفها من جميع الآثار ولم يكتف بذلك بل انه تورط الى ماهو ادهى وامر وهو محو لقبه المسمى امنحتب ومعناه « آمون الباقى » من جميع الآثار فلم يسمح بنطقه او كتابته على أى اثر واستعاض عنه باسم « اخناتون » ومعناه « روح اتون » فاصبحت طيبة حينئذ محورا للفتن الدينية والنزعات القومية واضحت الفوضى فيها كالحسكة شاكة من كل طرف . ولما نظر ذلك الشاب المصلح الى المدينة والى التماثيل التى اقامها اجداده لآمون لم يرقه ذلك ففكر فى ازالة هذا الاثر بهذه الحيلة التي احتالها وهى انه عمل على نشر الاله أتون فى سائر ربوع المملكة الثلاثة وهى مصر والممتلكات الاسيوية والنوبة وجعل مدينة الاله المصرية قصبة ملكه ولكن هذا المشروع الخطير قد تطلب منه زمنا طويلا وعلى الرغم من العقبات التى تصدت له فقد أنشأ المدن الثلاثة وجعلها كرسى هذا الاله . هذا وان مدينة اتون النوبية قد اقيمت على جانب النيل الغربى فى سفح الشلال الثالث فى قلب هذه الولاية المصرية وكانت تسمى « جم اتون » نسبة الى معبد اتون فى طيبة . أما فى الشام فأن مدينة اتون لم تكن معروفة ولكن سعى اخناتون فى نشر ديانة أتون بهذا الاقليم لم يقل عن سعى سلفه فى بث ديانة آمون . وفى السنة السادسة من حكم هذا الملك بعد أن غير لقبه اقام فى مدينة اتون الاصلية بمصر واصطفى لها مركزا حصينا ومكانا حريزا فى الفجوة التى بالصخر على بعد مائة وستين ميلا من دال النيل وعلى مسافة ثلثمائة ميل من طيبة وسماها « اختاتون » ومعناها « افق اتون » وتسمى فى عهدنا هذا تل العمارنه وفوق ذلك فقد اضاف اليها ساحة كبرى ووقفها على هذا الاله وتلك الساحة تشمل السهل الذى على حفافى النهر وقد أنشأ بالصخور المقامة

على كلا جانبي المدينة اربعة عشر لوحا صخريا كبيرا لم يقل ارتفاع احدها عن ست وعشرين قدما وهي منحوتة في الصخر وعليها نقوش تدل على حدود ذلك الاقليم المقدس الذى يحف بهذه المدينة وقد بلغ عرض هذا الاقليم ثمانية أميال من الشمال الى الجنوب وطوله من اثنى عشر الى سبعة عشر ميلا من حافة الصخر الى طرف الصخر الآخر ومع هذا الميدان المقدس كان للاله المذكور اتاوات تجبي له من بلاد نازحة فى مصر والنوبة وسوريا .

وقد ارسل الملك البنّاء الملكى (بك) الى الشلال الأول لاستحضار الاحجار اللازمة للمعبد الجديد وللمعابد الاخرى التى لاتقل عن ثلاثة اقيمت فى المدينة الجديدة احدها لوالدة الملك المسماة بالملكة (تى) وثانيها للاميرة (بكتاتون) خادمة أتون وثالثها وهو المعبد الملكى العظيم للملك نفسه وحولى هذه المعابد اقيمت قصور الملك وقصور الأمراء ولم ترالعين ابدع منظرا من تلك المناظر الخلابة المحدقة بهذه المدينة مثال ذلك المنظر الذى ينزع فيه الملك منصب القسيس الاعظم لأتون ويقلده تقليدا حسنا (المريرى) احد بطانته ووليجةالادنين وترى ايضا الصورة التى يذهب فيها الملك لمعبده فى مركبته الملكية الضخمة يصحبه بناته الاربعة وحاشية هائلة وتراه حينما يصل الى المعبد يتسلم بيده الخراج والاتاوات

فيتضح لنا مما ذكر أن كل عمل فى المدينة الجديدة عمل لنشر ديانة أتون والعقيدة الاتونية هى من بنات افكار الملك المذكور وبمحض ارادته اذ ترى توقيعه على كل ذلك فلا عجب اذن ان نرى هذا الملك لم ين لحظة واحدة فى اضعاف قوة الالهة ولم يتردد فى محو اسم ابيه من الآثار حبا فى ابادة آمون الدعدو لنشر دعايته ولم يخش فى ذلك بأس أى بشر بل كانت الرعية مسوقة لأمرته وطوع ارادته

ولقد فطن اخناتون الى سياسة اسلافه الفراعنة فى استمالة حزبه اليه بمنحهم المنح واقطاعهم الاقطاعات واسباغ نعمائه عليهم ومن بينهم طبقة

العمال الذين نشروا دعوته مثل (مريري) المذكور آنفا الذى اغدق عليه نعما وفيرة . وان النعم التى كانوا يتحدثون بها فى عهده عظيمة يؤيد ذلك قول قائد جيوش الملك « ان سيدى قد رفعنى لانى انشر دعوته واستمع كلمته فما اسعد من ينشر دعوتك ويبث تعاليمك عن الحياة » .

أما فى الحفلات الرسمية فقد ألغيت الاساطير الأولية القديمة التى يتخللها اسم الآلهة واستبدل بها عبارات الشكر والحمد وآيات الاخلاص التى كان يرتلها الآتون النبلاء الذين يتمتعون بنعماء الملك والذين أشربوا فى قلوبهم حبه أظهاراً لشعورهم نحو الديانة الاتونية . وكذلك كانت الموالى السورية ترسل وفودها تباعاً لتمثل فى تلك الحفلات الرسمية ولتتلو الآيات المقدسة الدينية لاله الشمس آتون . ومع انه كان للملك حزب عظيم موال له قد أدرك غرض الملك فى نشر تعاليمه فأن السواد الاعظم منه قد ساقه الى ذلك ارضاء بطنه وسد خلته .

وفى الحق ان هناك منحة ملكية عظيمة قد أسبغها الملك على الرعية الموالية له بدون استثناء وهى اقامة ذلك البقيع الصخرى الجليل الذى أمر الملك بانشائه على الصخور الشرقية لاشياعه وأحزابه وقد زين هذه المقبرة الخالدة بالتماثيل الرائعة والدمى الفاخرة التى فى زعمهم تسير فى مقدمة الجبارات وتتقدم المتوفى فى ذهابه الى الدار الاخرى وهى رموز للملائكة الأعلين الذين يبددون ظلمات القبور وينيرون السراج الى الصراط المستقيم الموصل الى جنة الخلد وبذلك ذهبت ظلمات القبور الطيبية القديمة وصار القبر أثرا خالداً للميت وان حياط هذه القبور قد زينت بالصور الجميلة والنقوش البديعة التى تدل على شكل الحياة وأحوال الناس فى عهد أخناتون ولا سيما الوقائع التى حدثت لساكن القبر أيام حياته الدنيوية ومقابلاته الرسمية مع الملك وبذلك تمتاز مدينة أخناتون عقبرتها الجميلة لا بآثارها الخالدة . وفى هذه المقبرة ترى النبلاء مكبين على ذكر الآيات الطيبات وترتيل الاناشيد الطاهرات للملك والاله أتون وترى فى

تلك الرسوم صورة الملك والملكة تحت قرص الشمس « أتون » الذى يرسل أشعته الذهبية المنتهية بأيد يحتضن بها الزوجين المذكورين .

وفى تلك المقابر قد نقشت الاشراف القنوت الذى ألفه الملك للاله أتون وأن أعظم أثر خالد ألفه هذا الملك فى تاريخ هذه الثورة الدينية هو هذا القنوت ومن هذا القنوت يمكننا أن نقف على مبلغ تضحية هذا الملك فى نشر دعوته وبث تعاليمه واليك ترجمتها :

القنوت

التسبيحة الاولى

عظمة آتون

« اللهم تبارك خلقك وجل جلالك فى أفق السموات العلى أيها الحى القيوم أتون مبدع الحياة ومنشىء الخلق فاذا بزغ نورك وانبلج صبحك ملأت الكون جمالا لانك جميل بديع وهاج تضىء ما حولك من الكون وأنت فى كبد السماء وتكتنف أشعتك الاصقاع والبقاع وما خلقت من الكائنات لانك انت رع للطيف الشفيق الذى أسرت ما حولك وجمعت شتات خلقك بحبك وعطفك ومع انك ناء عن الارض فان اشعتك تصل اليها ومع انك متعال فان أثرك يتجلى فى بزوغ النهار »

التسبيحة الثانية

الليل

« اذا غاب نورك وذهب سناك أضحى العالم فى ظلمات كظلمات القبور لقيام الناس بالحجرات والخدور يلفون رؤوسهم ويكمون أفواههم

ويخفتون أصواتهم وتغشى عيونهم فلا يبصرون ولا يشعرون سبحانك انت الذى حفظتهم مما حولهم وما بين أيديهم فى دياجير الظلمات وغسق الليل حينما تخرج الاسود من عرائنها وتنساب الافاعى من أجحارها ويسدل الظلام سدوله ويسكن العالم لان مبدعه قد أفل راجعا ليستريح فى ملكوته»

التسبيحة الثالثة

النهار وبنو الانسان

«ما أجمل العالم حينما تشرق على الافق فتضىء بطلعتك النهار أيها الملك القدوس أتون فتذهب وحشة الليل وتبدد ظلمة الغسق وترسل أشعتك الى البلدين (مصر العليا والسفلى) فتضحى فى عيد سعيد ثم يستيقظ الناس من سباتهم ويفيقون من غفلاتهم وينتصبون قائمين لاداء اشغالهم فسبحانك انت الذى أيقظتهم وأنهضتهم ثم يتوضؤن ويرتدون ثيابهم ويرفعون أكفهم الى السماء مصلين لك ومسبحين بحمدك بالسحر والفجر ثم يهرعون الى اعمالهم»

التسبيحة الرابعة

النهار والحيوان والنبات

«سبحانك انت الذى أوحيت الى الانعام أن تسرح بالنهار فى مروجها وبأن تنمو الاشجار والنباتات وتزهر الازاهير وتغرد الاطيار وتغدو وتروح على الغدران وترفع أجنحتها متضرعة اليك وترقص الاغنام طربا بك وتطير الطيور اسرابا فتغدو خماصا وتروح بطانا وتنتعش عند ما يشرق نورك ويضىء سناك»

التسبيحة الخامسة

النهار والماء

« سبحانك انت الذى أرسلت الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام وفتحت المسالك والطرقات عند انبلاج الصباح وأنعشت السماك فى الانهار الجاريات وأنفذت أشعتك فى لجج البحار الزاخرات »

التسبيحة السادسة

خلق الانسان

« سبحانك أنت الذى الاعلى خلقت الأجنة فى بطون أمهاتها وخلقت النطفة من ماء مهين وصورت الانسان أحسن تصوير وأسكنته فى ظلمات الارحام فى حرز حريز فكنت عليه أشفق من المرضع الحنون ونفخت فيه من روحك فتمثل بشراً سويا وبعثته يوم مولده من بطن أمه فنطق بفضلك وتحدث بنعمائك »

التسبيحة السابعة

خلق الحيوان

« سبحانك أنت الذى أحييت الفرخ فى بيضته فنفخت فيه من روحك ولما أكملت خلقه نفذ من غلافه وخرج يدرج من خدره فصاح وزقى وراح وغدا مسبحا بآلائك وشاكرا لنعمائك »

التسبيحة الثامنة

خلق العالم

«سبحانك ما أعظم اعمالك التى لاتحصى وما آثرك التى لاتستقصي أيها الفرد الاحد الذى لا يملك سواك قوتك وقدرتك . الذى سويت الارض ودحيتها طبق إرادتك وأنت فى ملكوتك لا شريك لك وخلقت ما على الارض من انسان وحيوان كبيرا كان أو صغيرا وخلقت منها ما يسعى على قدميه ومنها ما يطير بجناحيه سبحانك مالك الملك خلقت الشام والنوبة ومصر وأنزلت كل انسان منزلتـه فجعلت الناس درجات وأسبغت عليهم نعمتك وأغدقت عليهم بركتك وحاسبتهم على أيامهم وأعمالهم وجعلت لهم ألسنة عدة يتخاطبون بهـا وخلقتهم اشكالا وألوانا مختلفة طبائعهم وقسمتهم فرقا وشعوبا فسبحانك الحكم العدل المقسط بين عبادك »

التسبيحة التاسعة

ارواء الاراضى

« سبحانك انت الذى خلقت النيل فى العالم الارضى وأجريته حسب ارادتك لتحيي به عبادك سبحانك سيد الخلق ونصير الضعفاء يارب كل بيت تنيره بضيائك ويا شمس النهـار ويا هول الارضين والسموات أنت الذى رفعت النيل فى السماء لتنزل من السماء سحابا وبلا تحيي به الارض بعد موتها فينهمر على الجبال مدراراً ويسقى البطائح والبلاد ماءً عذبا فراتا فما أبدع نسقك وأجمل نظمك — يا حى يا قيوم أنت الذى خلقت النيل من السماء لتستقى منه الناس افواجا وتستقى منه الانعام زرافات ووحدانا وأرسلته الى العالم الارضى ليحيي فى مصر مساكن وبلدانا . أنت الذى ارسلت أشعتك لتنبت بها حدائق وأعنابا فاذا أشرقت شمسك وأضاء نورك احييت الحيوان والانسان»

التسبيحة العاشرة

الفصول

« سبحانك فاطر الفصول الاربع لتخلق فيها بدائع خلقك اذ جعلت فصل الشتاء للقر وفصل الصيف للقيظ سبحانك منشىء السموات القصية لتشرق فيها ولتشاهد ما خلقت حينما كنت وحيداً فنشأت فى ملكوتك وسميت نفسك أتون الحى القيوم فتبدو فى السحَر وتشرق فى المشرق وتغيب فى المغرب »

التسبيحة الحادية عشرة

الجمال الناشىء من النور

« سبحانك يا خالق الجمال من ذاتك العلية يشرق نورك على القرى والمدائن والربوع وعلى النجاد والوهاد والربى والوديان فترنو اليك كل العيون وتشرئب اليك الأعناق لانك انت أتون سراج النهار ومصباح الارض »

التسبيحة الثانية عشرة

الوحى المنزل للملك

« انك فى سويداء قلبي ولا يعلم بك سوى ابنك اخناتون الذى صورته ونظمته فى كنفك ووهبت له العقل الذى ازدان به فى خلقك وامددته بقوة من روحك سبحانك انت الذى ملكت العالم فى يدك وخلقته حسب ارادتك فعندما تشرق يحيا العالم ولما تغيب يسكن وتحقت انك انت الحى الباقي بعد ذهاب اياديك بك يحيا الانسان ويرنو الى جمالك الفتان حتى

تغيب عن الابصار فيقف دولاب الاعمال حينما تغرب فى الغروب واذا اشرقت هبت الكائنات لخدمة الملك القهار ومنذ ما دحيت الارض رفعت الانسان ليسبح بحمد ابنك الذى نشأ من بين يديك ويقدس ذلك الملك الحى الصادق الوعد الأمين رب الوجهين (القبلى والبحرى) (نيفر خبرورع) وان (رع بن رع) الحى القيوم رب التاجين (اخناتون) ادام الله حياة زوجته الجليلة الصالحة حبيبته والمقتدرة الوجهين (نيفر نيفرو اتون) ادام الله حياتها واحيا مجدها على كر الغداة ومر العشى »

وفى هذا القنوت يتجلى للانسان مظهر تلك الدولة العظيمة وقتئذ كما أن المنشد الملكى لهذه الاناشيد يتصور عند تلاوته لها عظمة مصر الممتدة من الشلال الى اقاصى بلاد الشام ولا غرو فقد ادرك اخناتون الاله مالك الكون أو خالق الطبيعه وابصر خيراته ونعماءه التى اسبغها على عبيده من الصعلوك الحقير الى الغنى المثرى ومن ادنى حيوان الى ارقى الناس فمثلا ادرك الطيور وهى تغرد على غدران النيل وتمثلت له تلك الطيور وهى ترفع اجنحتها مسبحة لخالقها كما طفرت السماك حامدة لمبدعها وأن روح الاله تنبعث فى الازهار فتزهو وفى الفرخ فيخرج وفى النيل فيفيض ولقد سمى هذا الملك الاله اتون بابى الكائنات وامها ورأى نوره يتجلى فى الزنبق (النرجس) ولقد ادرك الملك المذكور عدل الاله فى الناس على حد سواء لافرق بينهم فى العشيرة أو الجنسية ولقد ابان للمصرى الجبار المتكبر انصاف هذا الاله العظيم بين سائر خلقه والمساواة بين الناس كما أنه لم يفرق بين مصر وسوريا وبلاد النوبه وأن هذه الصفات الالهية التى ذكرها (اخناتون) هى التى صيرته عظيما وجعلته أول عبقرى ولوذعى فى تاريخ البشر ومع أن (اخناتون) قد ادرك بجلاء قوة هذا الاله العظيم وفضله العميم فأنه لم يكن لديه فكرة روحية عن هذا الاله أو صفات امتاز بها عن الخلق عدا الصفات التى ذكرت من قديم عن الآلهة .

ومع هذا فقد ظهر فى تعاليمه اعتقاد راسخ فى « الحق » لم يكن ظاهرا

فى تعاليم غيره من قبل . وكان الملك يضيف دائماً لاسمه هـذه العبارة « الصادق الوعد الأمين » ولا بد أن كان لهذه الجملة مغزى كبير اذ كان يرددها كل يوم فى حياته وكانت حياة اسرته بينة لسائر شعبه فكان ديدنه الصدق وشعاره الصراحة وكان مشغوفاً باولاده ولذلك كان يظهر للملأ مع زوجته الملكه وأمه فى سائر الحفلات كانه أقل خادم لمعبد أتون وقد رسم نفسه على الدمى والآثار وهو يمثل ادوار حياته مع اسرته وحينما كان يقرب القرابين فى المعبد شاركته فى ذلك الملكة وبناتها وكان كل ما يعتقده أمراً طبيعياً حقاً وصدقاً ولم ييأس قط من تمثيل هذه المناسك الدينية والشعائر القومية غير أنه كان يمج التقاليد المتوارثة ويشنؤها اعا شنآن

وان هذا المبدأ لا بد أن يكون قد أثر تأثيراً شديداً فى الصناعات التى كلف الملك بها فى ذلك الوقت فان « بك » أقدم بناء فى عهده قد أضاف الى اسمه هذه العبارة « الذى علمه سيده علم مالم يعلم » وبذلك كان الصناع فى عصره يمثلون بمعاولهم وفراجينهم (فرشهم) كل ما بدا لهم وكانت نتيجة ذلك تمثيل الحقيقة البحتة تمثيلا لم تمثلها صناعة أخرى من قبل . فمثلا كان الصناع يمثلون فى رسومهم كلاب الصيد ومطاردة الوحوش والقنص فى الفلاة وصيد العجل البرى فى الغدران كل ذلك حباً فى تمثيل الحقيقة والطبيعة التى الفها أخناتون وكذلك كان تمثيل الملك نفسه غير مستثنى من هذه الصناعة وبذلك حملت آثار مصر فى ذاك العهد مالم تحمله من قبل من النقوش التى تمثل اعمال هذا الملك الماضى العزيمة القوى الشكيمة الذى لم يذعن لحكم التقاليد القديمة بل نشأ هذا الملك ذو البطش الشديد غير معتمد على أحد غير قوة يقينـه وشدة إيمانه وان تصوير الجسم البشرى فى ذاك العهد كان أمراً سهلا جداً حتى ان الانسان اذا نظر إلى تلك الرسوم من أول وهلة ظن أن عصر المصريين القدماء فى إقامة تماثيلهم كعصر الاغريق أو أرقى

وقد عثر الباحثون حديثاً على قطع هشيمة من هذه التماثيل تدل على انه كان يوجد فى قصر الملك باختاتون عدة تماثيل حجرية تمثل الملك وهو فى

مركبته الملكية وهي تجرى فى إثر غضنفر كليم قد طعنه بسمهرى طعنة نجلاء . ولقد كان هذا العصر أى عصر اخناتون فاتحة عصر جديد فى تاريخ الصناعة . هذا وان تمثيل الملك وهو مشوه الارجل والايدى وعلى جسمه سمات المرض لأحجية حارت فى فكها الالباب ولقدمات هذا الملك بعد أن خلف ديانة جديدة وبدعا مستحدثة وبموته اختفى عظيم من عظماء التاريخ ومصلح كبير عده المؤرخون فى عداد الانبياء والمرسلين إذ كان أول من عبد الله بلا تردد فى الدين أو ريب فى اليقين

ولتكن هذه الآثار تبصرة لاولى الابصار ، وعبرة لذوى الالباب ، وجنة لنا من الشطط والزلل ودرعا تقينا ضير الخطأ والخطل حتى نحيا حياة طيبة ونعيش عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية

وسر العبقرية حيث يسرى فتنتظم الصنائع والفنونا
وآثار الرجال اذا تناهت الى التاريخ خير الحاكمينا



جدول سلالة الأسرة الثامنة عشرة

احميس = الملكة احميس نيفرتارى

سنسنب = امنحتپ الأول = الملكة احتب

موتنفريت = تحتمس الاول = الملكة احيس

آست = تحتمس الثانى = الملكة حتشپسوت

تحتمس الثالث = الملكة مريتريا

امنحتپ الثانى = الملكة تاآ

تحتمس الرابع = الملكة موتموا   توا = ايوا

جيلوخيپا = امنحتپ الثالث = الملكة تى

حرمحب = الملكة موتنجمت   الملكة نيفرتيتى = امنحتپ الرابع = تادوخيپا (بنت طهراتا)
(اخناتون)

توت عنخ آمون = الملكة انخ سنپاتن   الملكة مريتاتن = سمنخارا
(انخ سنامن)

الفهرس

استدراك

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٨	١	ثمت	ثمة
١١	٢٠	الشرقى	المشرقى
١٣	٢	أساء	نساءً
١٥	٧	الرباط	الرياط
١٥	١٨	الأحفان	الأجفان
٣٨	٢٢	مستأصله	متأصله
٤٢	١	يستنفذون	يستنفدون
٤٦	٥	هذه الجنة	هذه الحبة
٤٧	٣	جنسن	جنسس
٦٢	١٢	يصأ	يطأ
٦٣	١٤	لقد ترى	ولقد ترى
٨٠	١	وتغشى	وتعشى

كتب وتراجم للمؤلف

١ — الجغرافيا العمومية للمدارس الثانوية والعليا — ترجمة المؤلف باشة مع حضرة الاستاذ محمود بك كامل المفتش بوزارة المعارف
٢ — العجالة الوجيزة فى اهرام الجيزة
٣ — آثار العماره فى أجداث سقاره
٤ — الدر المكنون فى جدث الملك توت ـ عنخ ـ آمون

تحت الطبع

٥ — الخريدة العجيبة فى آثار طيبة
٦ — الدروس الأولية فى الجغرافيا الطبعية — ثمانية ا
٧ — صفوة تاريخ العالم — ثلاثة

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٩ م